كتاب الهلال

لسلة
افية
ربية

حكايات مسافر

مصطفى محمود

كتاب الهلال

KITAB AL-HILAL

سلسلة شهرية تصدر عن « دار الهلال »

رئيس مجلس الإدارة : أحمد بهاء الدين

رئيس التحرير : رجاء النقاش

العدد ٢٤٤ ربيع الأول ١٣٩١ — مايو ١٩٧١

No 244 — Mai 1971

مركز الادارة

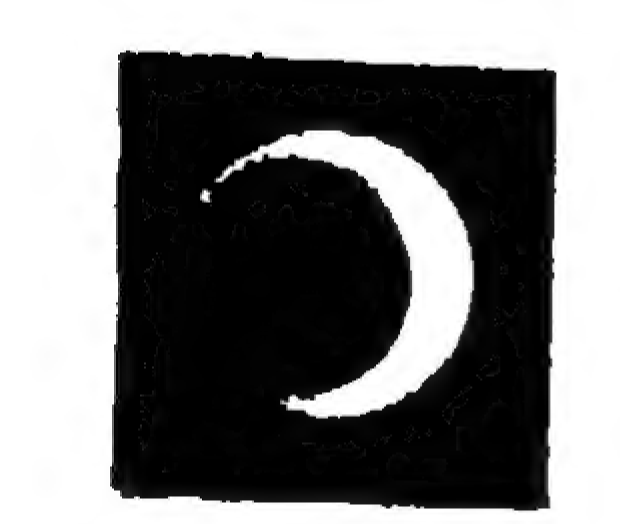
دار الهلال ١٦ محمد عز العـــرب

تليفون : ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط)

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى : (١٢ عدداً) فى الجمهورية العربية المتحدة وبلاد اتحادى البريد العربى والافريقى ١٠٠ قرش صاغ — فى سائر انحاء العالم ٥ر٥ دولارات أمريكية أو ٤٠ شلنا — والقيمة تسـدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال : فى الجمهورية العربية المتحدة والسودان بحوالة بريدية · فى الخارج بتحـويل أو بشيك مصرفى قابل للصرف فى (ج·ع·م·) — والاسعار الموضحة أعلاه بالبريد العادى — وتضاف رسوم البريد الجوى والمسجل عند الطلب على الاسـعار المحددة ··

كتاب الهلال



سلسلة شهرية لنشر الثقافة بين الجميع

الغـــلاف بريشـــــة
الفنـــان بهجت عثمـــان

مصطفى محمود

حكايات مسافر

دار الهلال

الليالى الحمراء فى ألمانيا

المانيــا بلاد مهــذبة جدا .. كل شيء فيها يتم وفقا لجدول .. وبرنامج .. وحصص محددة

وفى خلال خمسة أيام متتالية من رحلتنا كانت كل حصصنا مصانع ..

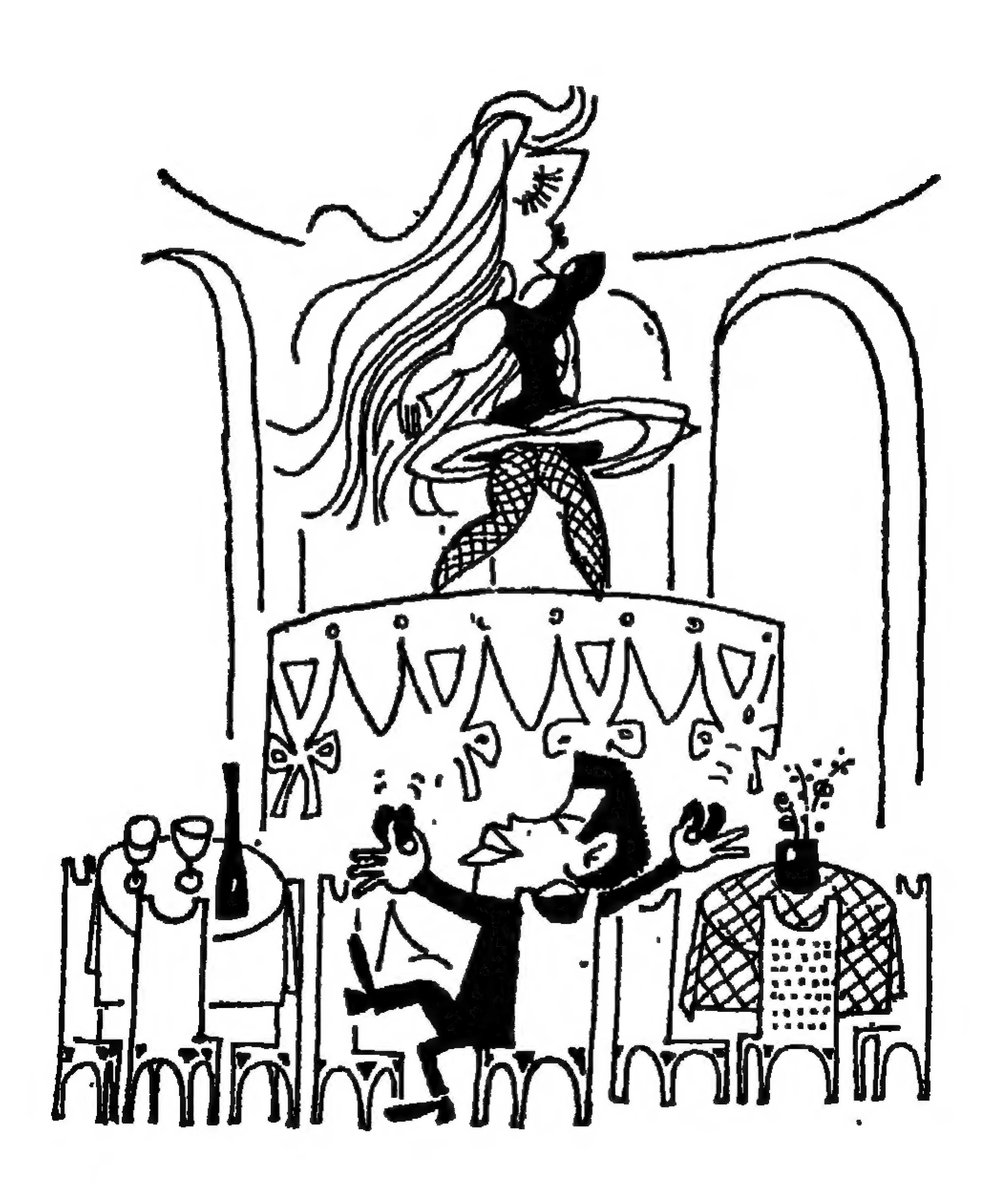
كنا نصحو على مصــنع .. ونفطر على ورشــة .. ونتغدى على شركة .. وتتعشى على منجم ..

وبدأت أشعر بالغيظ ..

أليس فى ألمانيا حصص للتسلية ..

كنت قد مللت من الفحم والحديد وطفح بى الملل.. وبدأت أعرب لمرافقنا الرسمى عن اعجابى العظيم بألمانيا وصناعاتها ..

وكنت أقول له كل يوم خمس مرات .. ان المانيــا رائعة .. وانها أثبتت انها لن تموت .. وانها انتصرت على أعدائها ..



وكان يجيب علىّ بابتسامة مهذبة قائلا :

ـ هذا قليل من كثير ياسيدى .. وغدا سوف ترى فى مصانع اسن ماذا فعلنا .. سوف ترى مليار طن من الخردة يذوب أمام عينيك .. ويتحول الى أنهار من الحديد السائل .. ثم يخرج من طرف المصنع أنابيب وأسياخ وألواح وشرائح .. وسوف ترى الالواح فى كولونيا تتحول الى عربات أنيقة .. وسوف ترى فى باديش الهواء يتحول الى سماد .. انك تستطيع أن تتصور مدى ما بذلنا من جهد اذا اطلعت على أرقام انتاجنا الأخيرة ..

ويضع يده فى جيبه ويخرج خريطة ورسوما بيانية واحصاءات يبسطها أمامه ويبدأ فى تلاوتها :

ـ ٣ ملايين طن كذا وكذا فى شهر كذا ..

ـ ٥ مليارات من الأطنان كذا فى شهر كيت وكيت .

ـ تسعون ألف قطعة فى سنة كام وفى سنة كام

وأحنى رأسى انحناءة غاية فى التهذيب وأؤكد له ان هذا ما أتصوره فعلا .. وان المانيا قد أصبحت عميدة الصناعة فى العالم .. ثم أردف فى خجل قائلا :

ــ ولاشك ان الصناعة ليست كل شيء فى المانيا .. ولا بد ان المانيا تقدمت فى كل فن .. حتى .. حتى فى السينما مثلا ..

ــ ها .. ها .. السينما .. والراديو .. والتليفزيون أيضا .. ان عندنا صمامات تستطيـــع ان تلتقط كذا ذبذبة فى الثانية .. وتستطيع أن تعمل على كذا موجة فى وقت واحد .. والاحصاءات الأخيرة تدل على ..

ويخرج خريطة الرسوم البيانية والاحصاءات ويبدأ فى التلاوة من جديد ، فأقول فى استسلام .

ــ رائع .. رائع .. عظيم .. مدهش ..

وقد ظللت شهيــد هــذه الاحصاءات مدة خمسة أيام متوالية حينما فهم الالمانى اللبيب غرضى فجأة .. فقال لى وهو يربت على كتفى :

ــ ها .. انت تريد أن تلهو ؟ ..

فقلت فى استنجاد :

ــ ها .. ها .. أرجوك ..

وربت على كتفه وربت على كتفى وتبادلنا النظرات الجانبية والضحك لأول مرة فى الرحلة .. ثم مال على هامسا :

ـ سوف آخذك الى أرقى مقهى فى دسلدورف .. الى البلاديوم ..

ـ رائع .. اشكرك .. سوف يساعدنى هذا كثيرا على فهم المصانع ..

وتصافحنا فى ود عميق ..

***

وفى المساء كنت أجلس الى جواره فى صالة ملهى أنيق حول بيست رقص ومسرح متحرك .. وكنا نحن الاثنان الشابين الوحيدين فى الملهى كله .. وكل من حولنا من العجائز ..

وفهمت ان صديقى مبالغة فى الحفاوة بى قد صحبنى الى أغلى كباريه فى دسلدورف .. وهو كباريه يذهب اليه أصحاب المصانع فقط ليشاهدوا نوعا راقيا جدا من اللهو .. نوعا يشبه الفلسفة عندنا ..

واستسلمت لقضائى ورحت أنظر الى الوجوه الكهلة والشعور البيض والظهـور المحدبة .. وأتأمل الفراء والمجوهرات وثياب السهرة ..

وكانت الوجوه الجميـلة الوحيـدة هى وجـوه الخادمات ..

وبدأ المسرح يعرض نمرا عاليــة .. وبدأت أتفرج وأنسى نفسى ..

وفى منتصف الليــل وأنا أصغى الى موسيقى فاترة حالمة .. وقد خفتت الأضــواء .. أخــذتنى شــطحة فلسفية .. ومررت بلحظة اختلط فيها احساسى وخيل الى انى فى القاهرة على احدى موائد الاوبرج .. انظر الى وجوه أليفة من عجائزنا الاغنياء فى ثياب السـهرة وأصغى الى بيبى المانزا ..

لم تكن توجد فروق كافية تجعل من المانيا .. المانيا

كنت أحس بالانسان وقد سقطت عنه البطاقة التى تحدد مكانه على الاطلس فأصبح مجرد شخص يمكن أن يكون أنا أو انت أو هو أو هى .. أو أى انسان..

وكنت أحس بأن كل الاطفــال يمكن أن يكونوا أطفــالى .. وكل العجائز يمكن أن يكونوا آبائى .. وكل الدنيا يمكن أن تكون وطنى ..

وكنت أحس بالراحة العميقة ..

. ولم أفق من هذا الاحساس اللذيذ المخدر الا حينما اقترب الجرسون ووضع يده على كتف صديقى قائلا

فى لهجة المانية صرفة :
ــ هر فالك ..

ففتحت عينى على الواقع فجـــأة .. وتـــذكرت البلاديوم .. دسلدورف .. والمائدة التى أجلس عليها

وأحسست ان الجغرافيا علم قبيح يجعل من العـــالم مائة دولة ومائة لغة ومائة جنسية ..

وكان الستار يسدل على آخر فصـــل فى البرنامج وصديقى يقول هامسا :
ــ سهرة جميلة ؟ ..

وكنت أتثـــاءب كأنى قائم لتوى من قراءة كتاب طويل .. وكانت هذه أولى محاولاتى للهو فى ألمانيـــا العابسة المهذبة ..

وفى الصباح الباكر كنا نهرول الى مصانع الهل ، ثم نركب الى مصـــانع فورد ونطير الى كروب وباديش ومرسيدس ..

وبعد خمسة أيام أخرى كنا نحط رحالنا فى مينـــاء هامبورج ..

وفى هامبورج كانت فى جدول الرحلة خانة خالية ..

سألت عن معناها فقالوا لى ان معناها نصف يوم بدون برنامج .. تقضيه على كيفك !

وتنفست الصعداء ..

ست ساعات على كيفى .. بدون مصانع .. وبدون كباريهات محترمة ..

وكان أول شيء فعلتــه انى تخلصـــت من الموكب الرسمى .. وسرت وحدى ! ..

سرت لمدة ساعة فى الشوارع وأنا سعيد .. وكان شكلى بشـــعرى الاكرت وشفتى المتلتتين مصيــدة للابتسامات فى طول هامبورج وعرضها ..

كان كل ألمانى ينظر الىّ ويبتسم .. وكل ألمانية تغمز لى بعينيها وتضحك .. .

وفى دكان للسجائر .. وقفت أشترى شيكولاتة .. وقال لى البائع بالانجليزية الركيكة :

ــ انت من الهند .. أليس كذلك ؟ ..

ــ بالضبط .. من أحراش الهند .. من الغابات التى يسكنها القرود .. !

ــ ها .. ها .. لقد خمنت هذا ..

وشد على يدى وهو يهنىء نفسه على ذكائه

ــ منذ متى وأنت فى المانيا ؟ ..

ــ منذ أيام معدودة ..

ــ جو بارد .. أليس كذلك ؟ ..

ــ آه .. ولـكنه منعش ..

ومال على أذنى هامسا :

ــ ويمكنك أن تجعله منعشا جدا .. عليك بشوب من البيرة وحورية فى لون الفل .. هل تعرف شـارع الريباربان .. انه هناك من على الناصية .. اذهب ولا تضيع ليلتك .. انك تجد فى شـارع الريباربان كل شىء .. انه بوليفار المانيا .. فقط تذكر هذه النصيحة.. لا تقل لفتاة المانية أنت بيضاء مثل اللبن وخدك تفاحى فهذه شتائم عندنا .. فاللبن والتفاح هما أرخص الاشياء فى المانيا ..

قل لها أنت سـمراء وكحيلة وعيونك سـود ..

وشكرته ، ورحت أبرطع الى شارع الريباربان ..

وكان المساء قد أقبـل .. والجو قـد تحول الى صقيع .. ودخلت فى معطفى الواسع .. وأغلقت بابه

الذى يشبه باب المخبأ ..

وفى شارع الريبـاربان وجدت صفين من المـلاهى بطول الشارع الضيق .. وعلى كل ملهى يقف رجل فى زى كرنفال يقوم بالدعاية للبرنامج بخمس لغـات .. ويصيح كأنه يصيح على مزاد :

عرايا من كل نوع ..

لوحات حية لا تنسى ..

ساعات من العمر هى أجمل ما فى العمر ..

تعال الى جناتنـا يا صـاح .. واترك همومك على الباب ..

وفى ركن مظلم كان هناك رجل مريب ذو لحية يهمس الى كل عابر سبيل :

ـ ان الـكباريهات لا تغنى ولا تسمن .. ولا فائدة فى عرايا لا تلمسهن بيديك.. تعال معى أنا.. وسأصحبك الى ما هو أشهى من الجنة ..

كان الشارع يشبه شريطا رفيعا من باريس وســط هامبورج .. وكان كل شىء ممكنا فى هـذا الشريط الضيق ..

كانت هنـاك سـينمات تتفنن فى عرض الجنس .. ومسارح تتفنن فى عرض الغزل بين النساء .. ومشارب للبيرة الرديئة يختلط فيها الجنسان فى تبذل .. وأندية للقمـار .. وحانات لتبادل الصفقات المريبة ..

وخيل الى وأنا أسير انى عبرت حدود المانيا بدون باسبورت ..

كانت كل الوجوه حولى غريبة ..

وجوه زنوج ويابانيين وصينيـين وروس وانجليـز وفرنسيين وأمريكان .. وليس بينها وجه المانى واحد ..

كان الشارع من أجل السواح فقط .. حتى الممثلات والراقصات كن من الاجانب ..

وأدركت بعد ساعات من التسكع فى هذا الشـارع انى لا أتفرج على المانيا .. وانما أتفرج على نفسى .. على الصورة التى فى ذهن الالمان عنى وعن السـواح من كل الالوان ..

وقطعت تسكعى وأخذت تاكسى الى الفندق ..

وفى الطريق سألت السائق :

ـ ألا يوجد فى بلادكم هلس ؟ ..

ـ ماذا تعنى بالهلس .. ان البنت عندنا حرة تفعل ما تشاء قبل الزواج .. وليس هذا هلسا ..

ـ ماذا تسمونه اذن ؟ ..

ـ اننا لا نسميه شيئا .. انه حياتنا فى يوم الاحد..

ـ انه يوم سعيد يوم الاحد .. تذهبون فيه الى الكنيسة فى الصباح .. والى عشاقكم فى المساء ..

وضحكت .. وضحك السائق دون أن يفكر ..

وتوقف التاكسى عند الفندق .. ونزلت وأنا أفكر فى الشعب الالمانى المنظم جدا ..

شد الحبل في هامبورغ

هامبورج .. فندق الاتلانتيك فى أواخر شتاء عام ١٩٥٧ ..

والهواء يقطر بالثلج والدخان المتصاعد من مدخنة الفندق يرتجف كأن به قشعريرة .. وأنا واقف فى الصالة أكتب خطابا الى روز اليوسف .. والى جوارى يقف الهر فالك الملحق الصحفى الالمانى يشد شعره لأن المبعوثين المصريين لايفهمون ان هناك مواعيد .. وان هناك ساعات يد وساعات حائط وساعات جيب .. وأوقات يتفق عليها الناس ويلتقون فيها بالدقيقة واللحظة ..

ـ ان أدق ميعاد عندكم هو الساعة كذا .. أى كذا .. لا فرق بين ساعة قبل أو ساعتين بعد ..

يقول هذا ويشد شعره ويكز على اسنانه وانا انظر اليه ببلاهة .. ثم أقول محاولا أن أغطى جراحنا :



ـ نحن فى الشرق فلاســفة .. ولسنا كمسارية .. وباعة لبن .. وعمال خراطة وحدادة مثلكم .. ماذا يهم ان تكون الساعة السادسة أو السابعة .. اننا لانرتزق من الدكاكين ولــكننا نعيش على التأملات .. ودكان التأملات لا يغلق بابه أبدا .. فما الداعى للعجلة ..

وأعود الى خطــابى أكتب فى « عجلة » .. بينما يمصمص الهر فالك شفتيه فى يأس وقد استسلم أخيرا وصدق اننا فلاسفة ..

لقد وصلنا هامبورج منذ ساعتين وما لبثنا أن تفرقنا فى الجهات الاربع .. بعضنا يجرى خلف خبر والآخر يجرى خلف قصة والثالث يجرى خلف سهرة .. أما أنا فكنت أحلم بفراش وثير ونوم عميق فقــد كنت متعبا ..

ولهذا أسرعت بختام خطابى واعتــذرت للهر فالك عن الاجتماع .. ثم صعدت الى غرفتى وأنا أترنح .. وكل ما أعرفه عن الغرفة انها رقم ٧٩ .. وانها بالدور الخامس .. وان معى مفتاحها ..

وبلغت الدور الخامس وسرت فى ممر طويل مفروش

بالقطيفة حتى نهايته .. ثم وضعت مفتاحى فى البـاب وأدرته .. ودخلت .. ولـكننى فوجئت بالغرفة خاوية على جدرانها .. لا شىء فيها بالمرة .. لا فراش .. ولا مكتب ولا كرسى .. ولا شىء ... مجرد خرابة قائمة على جدران أنيقة .. وعدت لأتأكد من الرقم .. ومن المفتاح والباب .. ثم وقفت حائرا ..

أهذا هو الـكرم الالمـانى .. أن ينام المبعوثون المصريون على الارض .. فى غرفة ليس فيها دولاب أو سرير أو مكتب أو كرسى ؟

أهذا هو النظام .. أهذا هو ؟

وصفقت بيدى فى غيظ .. ثم تذكرت فجأة انى فى الاتلانتيك هوتيل .. ولست فى لوكاندة السيد البدوى وان التصفيق حتى الصباح لن يجدى ..

وذهبت أبحث عن جرس حتى وجـدته .. وظللت أدقه عدة مرات حتى جاء الخادم مهرولا .. وهو رجل أنيق مهندم ..

وقلت له باختصار .. وبامتعاض أيضا .. ان الغرفة كما يرى .. ليس بها أى شىء من وسائل الراحة ..

وابتسم الرجل ابتسامة لطيفة ونظر مرتين الى شعرى الاكرت .. ثم اتجه الى زرار فى الحائط وضغط عليه فخرج سرير كامل المعدات من داخل الحائط .. واتجه الى اليمين وضغط على زرار آخر فخرجت كنبة .. واتجه الى الخلف وشد حبلا فخرج مصبـاح ومكتب وكرسى .. واتجه الى الشـمال وضـغط على قرص فخرجت مائدة عليهـا راديو وتليفون ونوتة مذكرات واعلانات وهدايا ..

وعاد الرجل ينظر الى شعرى الاكرت ..

وابتسم .. فابتسمت فى غيظ .. وقلت له : اننا فى الشرق نفعل هذا فى السيرك .. واننـا نفعل أكثر من هذا .. نرفع أحيانا قبعة صغيرة فيخرج من تحتها فيل..

وضحك الخادم فى سذاجة .. وصدقنى .. وظـل يسألنى طويلا عن الشرق .. وعن السحر الاسـود .. وتحضير الارواح .. وظللت أكذب عليه لمدة سـاعة من فرط غيظى ..

وحينما تركنى كنت ما زلت أدور فى الغرفة مغتاظا.. أضغط على الأزرار فأعيد الأثاث الى مكانه فى باطن

الحائط ثم أضغط عليها مرة أخرى فأخرجه .. كما تخرج المصارين من بطن الأرب ..

وشعرت بشيء من الاطمئنان حينما أتقنت هذه اللعبة وفهمتها ..

وبدأت أفكر فى النوم ..

وخلعت ثيابى .. ودخلت الحمام ..

ولكن منظر الحمام أصابنى بالذعر ..

انه ليس الحمام المألوف الذى نعرفه .. ولكنه يشبه غرفة الآلات فى باخرة .. كل شبر فى الحائط فيه ماسورة ومفتاح وحنفية .. وزر .. ورافعة .. وعجلة..

ووقفت أفكر.. وأنا أنظر الى الحنفيات الخمس التى تصب فى البانيو ..

انى أعلم جيدا ان هناك حنفية للماء البارد.. وحنفية للماء الساخن .. وتبقى بعد هذا ثلاث حنفيات ..

ووقفت أهرش رأسى وأقول : من الجائز أن تكون الحنفية الثالثة .. ماء بالصابون .. والرابعة للشاى .. والخامسة للويسكى ..

وكانت أمامى على رف الحوض مرآة مقعرة نظرت

فيها فوجدت ذقنى مكبرة ومســاحتها فدان .. وكل شعرة فيها طول الشجرة ..

وفهمت ان هذه المرآة خاصــة بالحلاقة الانيقة .. لتسهل عملية اقتلاع الشعر من الذقن .. ولتتبع الموسى وهو يجرى من شعرة لأخرى ..

ومددت يدى فى خوف وفتحت الحنفية الســاخنة وملأت البانيو ..

ثم تمددت فيه لأسترخى وأفكر على راحتى ..

وسرى الدفء فى أوصــالى .. وأحسست بالراحة وسرح فكرى فى ألف شىء وشىء .. وفجأة .. ربما بعد ساعة من السرحان .. أفقت لأرى حبلا يهتز أمامى

وتتبعت الحبــل فوجدته مدلى من ثقب صــغير فى السقف .. وأمسكت بطرف الحبل ..

ما فائدة هذا الحبل ؟ ..

ان المفروض أن يشده المستحم .. فيحدث شىء ما

وظللت انظر الى الحبــل فى خوف وهو يهتز .. وأمسك به بين لحظة وأخرى لأشده .. ثم أعود فأتردد .. ثم أعود فأتركه .. وأكتفى بالنظر اليه ..

وأخيرا تشجعت .. وجذبت الحبل جـذبة واحدة قوية ..

واتنظرت والعرق يتصبب على جسدى العارى .. وما لبثت أن سمعت خطوات مسرعة فى الممـر .. ثم دارت أكرة الحمام .. وانفتح الباب .. ودخلت خادمة بيضاء فاتنة مثل القمر ..

لا شك ان شعر القراء قد وقف من الفضول ..

لا بأس .. سوف أشرح لهم بعض الاشياء ..

لقد فهمت ان الحبل سببه حوادث الغرق التى تحدث فى البانيو للسكارى الذين يعودون الى الفندق فى آخر الليل ويفقدون وعيهم أثناء الاستحمام .. وهو مدلى عادة فى متناول المستحم ليستنجد به اذا أوشك أن يفقد وعيه .. وأنا شخصيا فقدت وعيى ..

لا بسبب السـكر .. ولـكن بسبب المفاجأة ..

... ...
... ...

النقط المتروكة هنا لها معنى آخر غير المعنى الذى يقصده احسان عبد القدوس بالنقط التى يكتبها فى قصة لا أنام .. وأنا أحذر القراء من الاسراف فى الخيال

تأملات من روما

حينما بلغت ايطاليا قادما من ميونخ كنت كأنى أنزل بدروما .. وأحسست ان بين المجتمع الالمانى والايطالى عدة درجات يهبطها السائح ..

كانت روما تبدو قديمة .. وكان نهر التيبر يبـدو كترعة الجعفرية .. مياهه قذرة راكدة ..

وكانت الشوارع ضيقة والبيوت كالحة .. والوجوه مصفرة شاحبة .. والنساء يتكلمن كثيرا .. ويحركن أيديهن كما يفعل نساء بولاق .. والشحاذون فى كل مكان ..

وبدأت أتساءل : ما الذى يجعل روما .. هى روما ؟ وأجابتنى التماثيل فى كل شارع وزقاق وميدان ..

كانت المدينـة تبدو كمتحف بدون أسوار وبدون باب .. فى كل مكان تجد تمثالا قديما ونافورة .. وفى كل شبر تجد خرابة أثرية على بابها عسكرى ..



ولو تصورت أحشاء الهرم الاكبر ، وأحشاء معـابد الاقصر وقد خرجت لتحتل ميادين القاهرة الرئيسية .. وتتناثر فى شوارعها .. فهذه هى روما ..

ان روما هى حافظة أمينة لتاريخ الفن الرومانى ..

وكل آثار الفن الخالدة فى روما أقامتها تبرعات من جميع أرجاء أوروبا بدعوة من البـابا .. ومن أجل المسيح ..

ان الفن والدين سبيكة واحدة هناك ..

فى متحف الفاتيكان تجد قصـة المسيحية مرسومة على الجدران بريشة الرسامين الـكبار أمثال ميكائيل انجلو ، ودافنشى ، ورافائيل .. وتجد تماثيل للعذراء والبابوات والقديسين ..

وفى الكنائس والمعابد تجد الكهنة ، وتجد الأصنام .. وتجد أبطال الميثولوجيا الاغريقية حولك .. كأنك تقرأ فى كتاب مجسم ..

حتى الـكاهن المصرى تجد له غرفـة خاصـة فى متحف الفاتيكان .. تقابل فيها فراعنة تعرفهم ، وملوكا قدامى من الاسرات الاولى .. لا شـك ان تماثيلهم

سرقت وعبرت البحر الى ايطاليا .. ثم يبعث للبابا وللكنيسة ..

ان النحت الفرعونى شىء آخر تماما غير النحت الرومانى .. النحت الفرعونى فهم شيئا جديدا فى فن النحت لم يفهمه الرومان .. فهم جمال الكتلة فى ذاتها .. جمال الحجر المجرد ..

انك تشاهد التمثال الفرعونى من كل الزوايا فتجد انه جميل .. وتشاهده من بعد ومن قرب .. وتتأمله وأنت لا تفهم موضوعه فترى انه جميل ..

انه قطعة من الحجارة جميلة فى ذاتها ، أما التماثيل الرومانية فتبدو من بعيد كأنها «لعبكة» لكثرة مافيها من التفاصيل والحركات ولتعدد الشخصيات فى كل تمثال .. ولا بد لك من أن تقترب وتطابق بين الاثر وموضوعه وتفهم قصته لتستمتع بما فيه من فن ..

انها تقدم واقعية سطحية تقف عند حدود الجسم وعضلاته وتفاصيله .. وتكتفى من انسان بحركة رشيقة أو انفعال عارض ..

أما الفراعنة فيقدمون فى نحتهم الانسان كله ..

الانسان فى شموخه وعناده .. وفى سماته الباقية من خلف التحولات والانفعالات والحركات الطارئة ..

ان النحات الفرعونى يمسح أثر الزمن من على وجه تمثاله ويمحو من عليه كل ما هو مؤقت .. ثم يسويه فيبدو كأنه البشرية كلها فى خلودها .. وفى حركتها التاريخية العنيدة ..

وقطع النحت الفرعونى .. قطع زخرفية تكشف عن احساس الفراعنة بالشكل والخطوط والعلاقات الهندسية الجميلة ..

لقد فهمت النحت الفرعونى فى روما .. ولم أفهمه فى مصر ..

وفى كنيسة القديس بطرس وجدت نفسى تحت قبة هائلة من الرخام .. وفى تحفة خرافية من تحف البناء ..

كانت صور ميكائيل انجلو منقولة على الموزايكو.. فى دقة وصبر مذهل .. وتماثيل الملائكة والعذارى والشياطين والبابوات تنظر الى من الجدران ..

ودفعت ستين ليرة لأتفرج على المتحف البابوى ..

ودخلت سردابا يحتوى على أرواب وقلانس وصلبان

وتيجان من الذهب .. كل تاج منها يزن بضعة أرطال .. ومصاحف مذهبة ضخمة فى حجم الدولاب .. وجواهر نادرة ..

وعجبت لهذا البذخ الاسطورى ..

كل هذا البريق الخاطف .. والذهب .. والماس .. والمجد.. والسلطان.. هى ممتلكات للبابوات الزاهدين الذين تركوا الدنيا خلف ظهورهم ..

مساكين هؤلاء البابوات ..

ان هذه التيجان الذهب حملها ثقيل فعلا ..

وفى الخارج كنت أسمع صوت التراتيل .. وكانت هناك راهبة توقد شمعة حول مقبرة القديس بطرس.. وتتمتم فى خشوع .. وكان كل الناس راكعين ما عدا أنا .. والبواب ..

وعدت وأنا أفكر طول الطريق ..

وجلست فى مقهى على الرصيف فى بيازا باربيرينى أمام النافورة الشهيرة وأنا أفكر أيضا ..

كنت أفكر فى كيف تصبح القاهرة مثل روما ..

واكتشفت بعد لحظات انى أفكر بعقلية الخديوى اسماعيل ..

من السهل أن تصبح القاهرة روما فى ثلاثة شهور اذا جمعنا فننا الكلاسيكى وألقينا به فى الميادين ، ولكن هل هذا يقدمنا كثيرا ..

انه يجعل من القاهرة بلدا قديمة ومتحف ذكريات ..

ولكن التقدم شىء أكثر من مجرد متاحف ..

ان مفتاح التقدم فى هذا العصر هو الصناعة ..

ان الطبق والملعقة والكرسى والموقد والمصباح وقرص الدواء .. منتجات صناعية ..

والماء والصابون والخبز والكهرباء والغاز عمليات صناعية ..

والزراعة تحولت بالمحاريث الميكانيكية الى عملية صناعية ..

والتعليم تحول الى عملية صناعية حيث ينتشر الفكر والادب والثقافة والفن عن طريق المطابع وآلات اللينوتيب والانترتيب والتيكر والراديو والتليفزيون والسينما ..

حتى كلمة النظافة فى مدينة أصبح معناها الحقيقى صناعى .. فليست النظافة سوى نتيجة ألوف الانابيب

والمجارى والبلاليع الممدودة فوق الارض وتحت الارض لصرف القاذورات ..

والرجل الذى قال لى فى المانيا ان هناك علاقة بين الحضارة فى بلد واستهلاك مواسير الصلب فيها لم يكن مخطئا ..

والتاريخ يكشف لنا عن العلاقة بين الصناعة والقوة .. فالشيء المشترك الذى تتشابه فيه كل المستعمرات .. انها تعتمد كلها على الزراعة .. ومجتمع زراعى يساوى فى هذه الايام مجتمعا ضعيفا ..

ان الصناعة لها معنى واسع ..

انها تعنى الحرية .. لأن الآلة تحرر الانسان ، وتوفر له أثمن ما يمتلك .. الطاقة والوقت والعمر.. وتحرر الشعوب بمنحها القوة ..

والنظرية القائلة بأن الصناعة تؤدى الى مجتمع آلى وانسان آلى كاذبة من أساسها .. لأن الصناعة فى الحق تأخذ على عاتقها الواجبات الآلية .. وتترك للانسان مجالاته الابداعية ..

ان الحضارة تقوم على ساقين : أحدهما الكتب ..

والآخر المصانع ..

فى الكتب توجد الغايات .. توجد الآداب والعلوم والفنون .. وفى المصانع تصنع الوسائل الى هذه الغايات ..

ونحن فى حاجة الى هاتين الساقين لنتقدم ونسبق روما وبرلين ولندن ..

كنت أفكر فى هذه المشكلات وأنا أتأمل نافورة البيازا باربيرينى التى تخرج من تمثال نصفه رجل ، ونصفه سمكة .. وأمامى طفل ايطالى يشحذ .. ويوزع النعناع على الجالسين بنفس الطريقة التي يتبعها الشحاذون هنا فى مصر .. وفى الناحية الاخرى الجرسون يطالبنى بقائمة حساب تصل الي ستين قرشا في مقابل فنجان القهوة ..

وكان من الواضح انه أضاف ليرات كثيرة الي الحساب لأني شعرى أكرت وشكلى افريقى يغري بالإستغفال ..

ورفضت الدفع .. وقلت ان هذا نشل علني علي قارعة الطريق ..

ووقف الجرسون يرطن ويلوح بيديه ويمط شفتيه كما يفعل الطلاينة الجرابيع فى أفلام دى سيكا ..

واجتمع الجرسونات يلوحون بأيديهم بما معناه .. اني رجل بدائى .. لا أفهم معنى القهـوة فى البيـازا باربيريني .. فى روما بلاد الفن والجمال ..

وقلت انى أفهم معنى القهوة .. وأفهم أيضا وظيفة البوليس الايطالى ..

وتدلت شفة الجرسون المحتال .. واتضح ان القهوة فى ايطاليا قابلة للفصال تماما مثل أسعار المنـاديل فى شارع الازهر ..

وتركت المقهى .. وأنا أعد الليرات الباقية فى جيبى.. والساعات الباقية على قيام الطائرة .. وأفكر فى أرخص شيء أشتريه ..

ووجدت بعد سـاعة من الجمع والطرح ان أرخص شيء .. هو التأمل .. والمشى .. والاعجاب من الظاهر .. من ظاهر الفترينات ..

ووقفت أمام فاترينة كبيرة متألقة .. أفكر ..

لقـد فكرت فى النحت الفرعونى .. والروماني ..

وفكرت فى الصناعة والحضارة .. والآن أجدنى أفكر على الرغم منى فى التجارة .. فى تلك المهنة الغريبة التى تربح بدون تعب ..

ما على التاجر الا أن يسلم البضاعة فيكسب أكثر من الذى يصنعها ..

وهو يستطيع ان يتاجر فى القماش .. وفى الحديد.. ويستطيع أن يتاجر فى العملة .. ويستطيع اذا تخصص فى فن البورصة .. أن يبيع عمليـات البيـع نفسه .. فيكسب مليون جنيه فى لحظة واحـدة بمجرد عقـد صفقات وحل صفقات .. وبدون جهد يذكر ..

ان أى شىء تمسه التجارة يتحول الى ذهب ..

كاتب الاعلانات يكسب أضعاف كاتب القصـة لانه يعمل فى بلاط صاحبة الجلالة التجارة ..

وبائع نوتات بيتهوفن يكسب فى اليوم ما لم يكسبه بيتهوفن طول عمره .. لانه بائع ..

ان التجارة مهنة غريبة تقلب قيم الاشياء .. تجعل من العمل قيمة مفلسـة .. وتصنـع أباطرة مزيفين من أصحاب الدكاكين ..

وشخشخت بالليرات القليلة التى فى جيبى .. والتى لا تصلح لشىء ..

مائة ليرة ..

ماذا تصنع فى ايطاليا .. ؟!

انها لاتكفى بقشيشا على مسحة حذاء .. !

وأسرعت أهرول الى المطار عائدا الى بلادى أحمل أخف حقيبة حملها سائح .. حقيبة بها هـــدية واحدة الى أصدقائى فى القاهرة .. صفحتين من التأملات على شاطىء التيبر ..

فلسفة الجسم العاري

طبيعى جدا أن يتوقف الشرقى الذى جاء من بلاد البراقع والعبـاءات أمام هـذه الوفرة من الاجسـام العارية المعروضة فى الفاترينات ..

وكل شىء فى باريس يعرض بلغة الجسم العارى .. اعلانات القمصـان .. اعلانات العطـور .. الدعايات السياسية .. آخر دواء منوم .. حتى طوابع البريد .. تصدر لك مصلحة البريد طابعا عليه رسم عريان

وليست الدوافع سـياحية فقط .. فالبـاريسيون أنفسهم فى هذا الشهر الشديد البرودة وهو ليس شهرا سياحيا يملئون مسارح الستريبتيز فى البيجال ويحتلون الصفوف الاولى ليتأملوا العروض العارية فى اهتمام شديد .. اهتمام ليس منبعه الحرمان الجنسى .. ولا الفضول الشرقى لرؤية الاعضاء التناسلية .. فالاختلاط فى باريس هو القاعدة والعلاقات ميسورة ، وانما منبعه



فلسفة باريسية .. اســمها فلســفة الجسم العارى .. فالجسم العارى هنا لغة مثل الادب والموسيقى لهـا نقاد ..

والفرنســيون من رواد البيجال يتابعون العروض العارية بكل برود وهم يدخنون فليس ما يعرض بالنسبة لهم موضوعا للاثارة ولكنه موضوع للنقد ..

وما يعرض على المراقص الاخرى بهدف التعبير عن الجنس يعرض بفن رفيع يبعد العين تماما عن التفكير فى الاثارة .

انها فلسفة الجسم العارى .. اعتياد العين على رؤية الجســم العارى تقــل التفكير من موضــوع الاثارة الغريزية الى موضوع التأمل الذهنى البحت لــكل ما يمكن أن يرى فى الجسد العارى من علاقات جماليــة بحتة ومعانى مجردة .

ومع ذلك فليســت باريس هى ملاهى الســتربتيز والخنافس فبرغم جاذبية هــذه الموضــوعات للكتابة الصحفية والقراء الشرقيين .. الا ان باريس شىء آخر

فى باريس أكثر من ثلاثمائة مسرح تعرض أحــدث

ما وصلت اليه مبتكرات الاذهان من فن رفيع بعيد عن الاغراء خال من اسفاف التجارة .. وفى باريس عشرات المتاحف وعشرات المكتبات العامة تحوى مخطوطات نادرة يسافر اليها الدارسون من كل مكان .

فى باريس آثارنا الفرعونية معروضة بذوق اجمل مما هى فى متحفنا القديم الذى يشبه ـ من كثرة تكدس التحف فى أروقته بلا نظام ـ صندوق زبالة كبير .

ونجد فى باريس مخطوطات ابن سينا وجابر بن حيان ونفائس غوال من تراثنا العربى لا نجدها فى بلادنا ..

وتجد فى باريس صحفا جادة تنشر مقالات مطولة مدعمة بالاحصاءات والهوامش والدراسات والتعليقات العميقة والمناقشات الحرة .. صحفا لها رواج ولها قراء بمئات الآلاف .

واذا كان الباريسى يسكر طينة ليلة رأس السنة فهو يعمل بيديه وأسنانه طول العام .. والقبلات المباحة فى المترو هى المكافآت المشروعة التى أحلها الاوروبى لنفسه بعد عمل دائب مرهق ومخلص فى المصنع طول النهار .

وفى باريس أكثر من ٦ ملايين ساكن ولا زحام ولا تعلق بعربات المترو .

وفى باريس أتوبيسات قديمة «كهنة» ولكنها مازالت تسير بكفاءة نتيجة الاشراف الدائب والصيانة المستمرة .

باريس ليست مدينة دعارة كما يحلو للفرد الشرقى ان يسميها .

باريس كالمرآة سوف تعكس لك ما فى نفسك .. فاذا لم تر فيها سوى الدعارة فلأنك داعر ليس فى رأسك سوى الدعارة .. وليس الذنب ذنب باريس وانما الذنب ذنبك .

وأنا رأيت فى باريس بيئة خصبة غنية تنشط الذهن على العمل .

ولم أر فى الافراط الواضح فى عرض الجسم العارى اثارة ..

ولم أر فى قبلات المترو دعارة .

وانما هو الوجه الآخر من العمل المضنى .

وباريس ليست غالية ذلك الغلاء المخيف الذى نسمع

عنه .. فيمكنك أن تؤجر غرفة بمدفأة فى دور خامس أو سادس بخمسة عشر جنيها فى الشهر وتدبر لنفسك طعاما طول اليوم بنصف جنيه ، وما تبقى فى يدك من مصروف تنفقه فى المواصلات وفى سهرة أسبوعية بأحد المسارح الرخيصة التى تشرف عليها الدولة .

ومتحف اللوفر مفتوح لك مجانا يوم الاحد ومكتبات الجامعة مفتوحة لك مجانا طوال أيام الاسبوع .

وجميع الصحف تقرأها مجانا فى السفارة وتستطيع أن تحلق شعرك بنفسك بمشط خاص يباع بأربعة فرنكات ، وتغسل ثيابك فى غسالة عامة كل أسبوع بفرنك ونصف الفرنك أى حوالى عشرة قروش .

واذا كنت تتمتع بصحة جيدة وتستطيع ان تخبط مشاوير طويلة يمكنك ان توفر فرنكات المترو وتعتمد على قدميك فى ذرع باريس طولا وعرضا ويمكنك أن توفر وجبة من طعامك وتعتمد على وجبتين واذا أفلست تكتفى باللبن والتفاح وهى أرخص مواد غذائية «كيلو التفاح بفرنك أى عشرة قروش » والنبيذ أرخص من الاثنين .

وأغلى ما فى باريس الطبيب والكوافير والمطعم الذى يخدمك فيه جرسون والمحلات التى تبيع الاشياء النسائية والتاكسى والأماكن الارستقراطية .

وأنت أخيب السياح جميعا اذا نزلت باريس بعقلية الشرقى لتصطاد امرأة .. فأنت لن تعرف باريس أبدا.. وأولى بك أن توفر نقودك وتظل فى بلدك ففيها الكفاية من النساء .

ولا تخدعك الافيشات العارية والافلام العارية ومسارح بيجال العارية .. فهى عند الفرنسيين فلسفة وليست اثارة .. لغة عادية يومية فقدت معناها الجنسى وان كانت ما زالت تحتفظ بالشكل الجنسى .

نصيحة واحدة مهمة أن تتعلم اللغة الفرنسية فهى شىء هام وضرورى فى باريس .

أقوال غير مأثورة :

* فى القاهرة تجد بين كل مقهى ومقهى .. مقهى
وفى بيروت تجد بين كل كباريه وكباريه .. كباريه
وفى سويسرا تجد بين كل بنك وبنك .. بنك
وفى باريس تجد بين كل افيش عارى وافيش عارى

.. افيش عارى

وفى طنطا تجد بين كل جامع وجامع .. جامع

* من أدلة الرخاء فى بلد أن تجد زحاما شـديدا فى المكتبات وطوابير على أبواب المسارح فهذه أشياء لا يفكر فيها الناس الا بعد أن يشبعوا

* اذا دخلت باريس وكان أول ما خطر لك .. كيف أقضى ليلة حمراء هـذا المساء .. فأنت لم تسافر الى باريس .. انت انتقلت من محطـة الى محطة داخل نفسك .. ما زلت تحمـل اهابك الشرقى وجلدك ومدنيتك القديمة معك

* ما أجمل رؤية القـاهرة من بعيـد .. من ميدان الكونكورد .. وشارع الشانزليزيه وشارع دونج ستريت

* اذا دخلت متحف الشمع فى باريس فسوف تفاجأ برؤية تمثال بالحجم الطبيعى لموشى ديان الى جانب تماثيل نابليون وفولتير وروسـو .. وفى الصحف وفى التليفـزيون وفى الاذاعة سوف تسـمع نبرة مختلفة كثيرا عن نبرة ديجول الودية . والفرنسيون

ما زالوا يعطون آذانهم للصهيونيـة أكثر ممـا يعطونها لديجول .. وعلينا أن نضـاعف العمـل والنشاط لنكسب هذه الآذان الى صفنا ولا نعتقد اننا كسبنا فرنسا لأن ديجول معنا

* أرخص شيء فى باريس هو الرسم .. تستطيع أن تشترى لوحة رائعة لفنان ناشيء يرسم فى المونمارتر بعشرة جنيهات

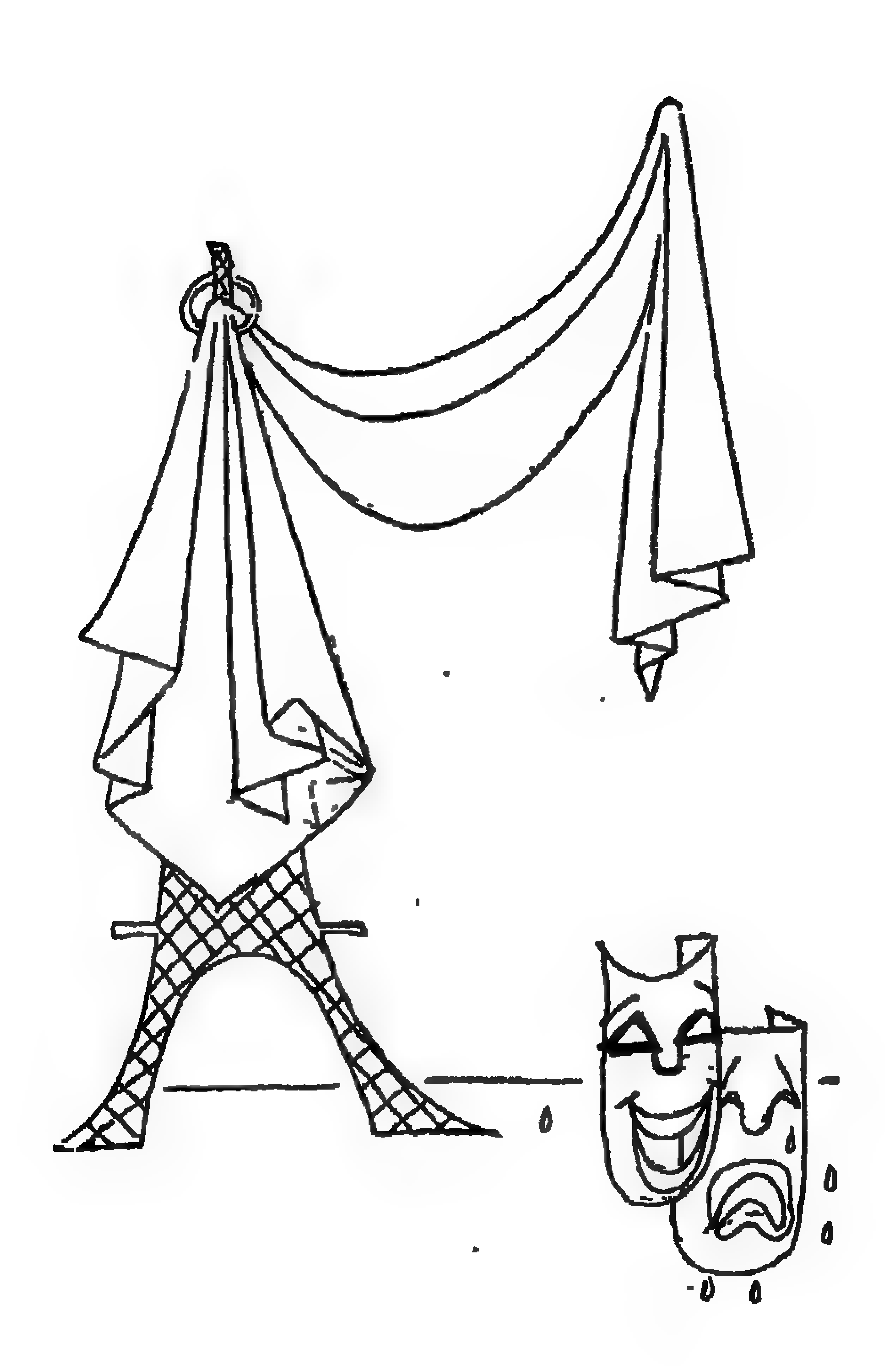
الويل لمن يبدأ حياته رساما فى باريس انه سـوف يظل طول حياته يصعد من سلم الخدم

* حذار أن تعمل نجارا فى فرنسا .. فغرفه الصالون موبيليا فاخرة تباع فى باريس بثمانين ومائة جنيه . وغرفة النوم بمائة جنيه وبالتقسيط

روايات تتحدث عنها باريس

ظاهرة هامة فى مسارح باريس انها تعرض هذا الموسم روايات مترجمة .. لا توجد مسرحية واحدة محلية مؤلفة .. ظاهرة ثانية ان كل هذه المسرحيات تتناول مشكلة الله والانسان والوجود لتنتهى الى نتيجة واحدة .. ان لا أحد يرعانا فى السماء .. وان الله فى اجازة بالنسبة لكتاب المسرح ورواده وبالنسبة لسماء فرنسا على الأقل .

فى مسرحية « مقبرة العربات » للمؤلف الاسبانى « ارابال » نرى الديكور لا يتغير طول العرض هو خرابة قذرة تتراكم فيها العربات القديمة ، مجرد هياكل عربات يعلوها الصدأ ملقاة فوق بعضها .. ثم نفهم أن ما نراه هو لوكاندة وان صاحب اللوكاندة يؤجر غرفاتها بأجر زهيد لمن يريد أن يقضى ليلة مع صاحبته ونرى ان صاحب اللوكاندة يستغل هذه الغرف



ويستغل زوجته أيضا .. فعلى زوجته مادلين أن تضاجع نزلاء اللوكاندة عند اللزوم .. واذا رفضت فهو يضربها ثم يدفع بها الى الغرف لتعود اليه بأجر مضاعف ونفهم ان جميع العلاقات الجنسية فى هـذه الخرابة الكبيرة تمارس كوسـيلة لقتل الوقت أو للتجارة أو اللهو أو كلون من الغرور واستعراض القوة أو اذلال الرجـل للمرأة أو المرأة للرجل .. لا أحد يمارس الجنس للحب .. ولا يوجد الحب على الاطلاق .. كل جنس ينجذب الى الجنس الآخر بدافع اللذة المؤقتـة أو المنفعة أو استعراض العضلات أو اللهو .. حتى يظهر المسيح .. ومسـيح القرن العشرين الذى يظهر عام ١٩٦٨ هو مسيح عصرى جدا .. فهو يمارس الجنس .. ونراه فى أحضان مادلين « مريم المجدلية » ولكننا نفهم انه يفعل هذا لأنه يحبها .. وان لا شىء يحركه نحو الجنس سوى الحب وانه الرجل الوحيد الذى يمارس الجنس للحب فى هذه الخرابة الكبيرة المليئـة بالقاذورات .. ولأنه الرجل الوحيد الذى يحب نرى جميـع الرجال الآخرين يتآمرون عليه لأنه سوف يفسد عليهم حياتهم

وملذاتهم السهلة ثم يبلغون البوليس عنه ليتخلصوا منه ..

ويدهم رجال البوليس الخرابة فتخرج لهم المجدلية عارية تماما حتى تشغل أنظارهم عنه .. ولكنهم يقبضون عليه ويصلبونه ..

وفى مناظر سريعة ساخرة بعد هذا نرى نشأة الكنيسة ثم تحللها وانهيارها ونرى تحول النصوص الدينية فى يد الكهنة الى محفوظات واجراءات روتينية بيروقراطية ..

نسينا أن نقول ان جميع أبطال المسرحية عراه ملط الا من ورقة توت من أول المسرحية الى آخرها .

وتنتهى « مقبرة العربات » لنرى مسرحية ثانية قصيرة لنفس المؤلف « ارابال » وعلى نفس الديكور وفى نفس الخرابة .. نرى رجلا وامرأة أشبه بريا وسكينة وقد تعودا أن يقتلا فى كل ليلة ضحية .. ولكنهما هذه الليلة وبعد ارتكاب جريمتهما يفكران فى الاقلاع عن هذه العادة السيئة ويحاولان أن يكونا مواطنين طيبين .

وتسأل المرأة : ماذا نفعل لنكون مواطنين طيبين .
ويبدأ الرجل يقرأ من الانجيل آيات عن الفضيلة والسلوك الطيب ..
وبعد تلاوة طويلة .. تقول المرأة : يا لها من حياة مملة .. ان معنى هذا اننا لن نجد ما نفعله ..

وتبدو البلادة على وجه الرجل .. انه لن يجد ما يفعله .. ان هذا يبدو واضحا ..

وينتهى الفصل الواحد القصير وقد فهمنا ان الاثنين سيعودان الى جريمتهما كل ليلة . وان تلك الخرابة الكبيرة ـ الدنيا فى نظر المؤلف ـ ليس فيها ما يثير بالنسبة لسكانها سوى لذة الجنس ولذة القتل وما يبقى بعد ذلك فهو أمر ممل يدعو الى التثاؤب ولا يستحق مجرد التفكير فيه ..

واذا تركنا مسرح الفنون حيث التقينا « بأرابال » وذهبنا الى المسرح القومى فاننا نرى « برخت » فى آخر عمل له « الأم » .. يحاول أن يلحق بركاب الساخطين ..

وبالرغم من ان المسرحية مأخوذة من رواية جوركى

« الأم » وبالرغم من ان الشيوعيين يتجنبون الخوض فى مسائل الدين .. الا ان برخت لايريد أن تفوته هذه الحمى دون أن يساهم فيهـا . ونراه فى أهم منظر فى المسرحية حينما يبلغ الأم نبأ مقتل ابنها رميا بالرصاص وهو يوزع المنشورات الشيوعية ويثير الاضرابات فى فنلندا .. تسقط الأم مغشيا عليها .. وتدخل جاراتها لاسعافها ..

وفى محاولة من الجارات لتعزية الأم .. يقدمن لها الانجيل فترده بأدب فى البداية قائلة : انه كتاب جميل ولكنها لن تجد فيه تعزية .. فتقول الجارة : ان لها أبا فى السماء يرعانا جميعا .. فترد الأم قائلة : انها تعرف ان فى السماء غازات منها الاكسجين والنتروجين ولكن ليس فيها غاز اسمه الأب السماوى ..

ــ ولكن الله يكتب علينا الموت وكل ما نعانيه فى حياتنا الدنيا قدر مكتوب ألا تؤمنين بذلك أيتها الأم الطيبة ..

ــ ان ما تعلمته ان الانسان هو الذى يخط قدره بيده ..

ـ ألا تصدقين ما فى الانجيل ..

ـ لو صدقت أنت ما فى الانجيل وعملت بما فيه لمـا طردت ناتاليا المسكينة لأنها لم تدفع لك ايجـار غرفتك ..

ـ لقـد تأخرت فى دفع الايجار ثلاثة شـهور .. والانجيل يوصينا بأن تؤدى الحقوق الى أصحابها ..

ـ ويوصينا أيضا بالرفق بالضعفاء والمحبة والعمل من أجل الآخرين ..

وفى محاولة كل من الاثنتين اثبـات وجهـة نظرها يتمزق الانجيل بينهما .

وبالرغم من امتلاء المسرح لآخره وتصفيق اليساريين المتحمسين .. الا ان تعليق النقاد على المسرحيـة انها أفشل وأتفه ما كتب برخت . وان مناقشة برخت لمشكلة وجود الله كانت سطحية ودون المستوى ..

والملحـوظ انه فى الوقت الذى تكاد تكون فيـه مسرحيات برخت مسرحيـات مقـررة على الدول الاشتراكية فانه الآن فى فرنسا يلفظ أنفاسـه ككاتب مسرحى دعائى ساذج من الدرجة الثانية .

واذا تركنا المسرح الى السينما فاننـا نرى الموجة الجديدة تكتسح باريس ..

وفى فيلم « نهاية الاسبوع » لجودار وهو رائد الموجة الجديدة .. نرى محاولة شديدة التطرف ..

يبدأ الفيلم بحوار بين الزوج وزوجتـه .. الزوجة تعتذر عن الخروج مع زوجهـا لأنها مريضـة بنزلة شعبية .. ونفهم بعد هذا ان الزوجة كذبت لأنها تريد أن تلتقى بعشيقها .. ونرى ان الزوج هو الآخر قـد استفاد من الفرصة فذهب الى عشيقته ..

وبعـد قطع سريع تذهب بنـا الـكاميرا الى بيت العشيق .. ونرى الزوجة عارية تحكى لعشيقها اعترافا مفصلا عما دار فى الليلة المـاضية .. حينما كانت هى وزوجها وروبير وزوجته معا .. وكيف تبادل الازواج الزوجات .. ونام كل منهمـا مع زوجة الآخر .. ثم تفاصيل دقيقة عن شذوذ روبير وعن أساليبه المنحرفة فى الفراش .. حوار طويل مفصل يستمر خمس دقائق ينتهى بأن يقول العشيق وهو يأخذ الزوجة بين ذراعيه لنـَر بالضبط ماذا فعل روبير .

فاذا كنا فى اليوم التالى فنحن مع الزوجين فى فسحة نهاية الاسبوع وقد استقلا عربتهما الانيقة فى طريقهما الى الأم فى الريف ..

والطريق الزراعى مزدحم وفيه مئـات العربات .. باريس كلها خرجت اليوم فى فسحة نهاية الاسبوع .. وهناك حادثة على الطريق .. والمرور معطـل .. وكل صاحب عربة يلعن ويسـخط : « آلم يكن يريد أن يموت الا اليوم .. لماذا لم يمت فى يوم آخر ويريحنا » لا أحد يفكر الا فى نفسه وفى الوصول الى هدفه قبل الآخرين ..

وينفتح الطريق بعد ساعات لنرى حادثة تصادم بشعة ذهب ضحيتها أطفال وشبـان وبنات قتلى على جانبى الطريق .. ولكن لا أحـد يتوقف لينظر وانما تمرق العربات فى سرعة خاطفة ويذهب كل واحد الى حاله..

ولكن المـأساة لا تنتهى وانما تبدأ .. فعلى جانبى الطريق عربات محطمة محترقة وحوادث وقتلى فى كل شبر من الطريق .. حادثة بعد حادثة ــ ونفهم من ذلك ان المؤلف يرمز الى النيران المشتعلة على الجانبين فى

فيتنام والكونجو ونيجيريا والشرق الاوسط والقنابل التى تتساقط ، والضحايا الذين يسقطون فى كل مكان بينما الناس فى أوروبا يتبادلون القبلات على الارصفة ويخرجون فى فسحة نهاية الاسبوع ومعهم سندويتشات الدجاج وزجاجات الويسكى كل منهم يضحك ملء فمه كأن لا شيء يحدث حوله .. !

ثم يفاجئنا المؤلف بقاطع طريق يقطع الطريق على عربة الزوجين ثم يقفز الى داخل العربة ويقول فى هدوء الزوج : « انه الله » .. وانه يريد الذهاب الى لندن.. وينظر الزوج فى سخرية الى هذا الرجل الذى يدعى بكل تبجح انه الله .. وفى حركة مثيرة يبسط الرجل يده ويمدها الى السماء ثم يفتحها فاذا بداخلها أرنب سمين عظيم .. ويضحك الزوج .. ويقول الرجل انه مستعد لأن يجيب لهما أى طلب حتى لو أرادا الجنة ذاتها اذا أوصلاه الى لندن .. ألكما فى طلب أى طلب ؟ ..

ويفكر الزوجان ويقدحان زناد فكرهما ، ثم ينفجر الزوج قائلا : عربة مرسيدس عام ١٩٦٨ وتنفجر

الزوجة متوسلة : فستان سواريه من محلات كونياس

ويصرخ الله فى ازدراء : ولكنك يا رجل تملك الآن عربة مرسيدس عام ١٩٦٥ .. وانت يا امرأة عندك خمسون فستانا سواريه .. وهذه فرصة ذهبية لم تتح لبشر .. تلتقيان فيها بالله وتطلبان ما تشاءان فلا تخطر لكما الا هذه المطالب البرجوازية التافهة . بصراحة يا بشر .. أنا أحتقركم جدا ويبصق الله فى احتقار ويقفز نازلا من العربة .. ويصرخ الزوجان : اثبت لنا انك الله .. اننا نشك فى أمرك .. احدث لنا معجزة .. فيجيب الله وهو يختفى : أنتما أحقر من أن أثبت لكما وجودى ..

وفى طريق الحوادث والحرائق تنتهى عربة الزوجين الى حادثة فتحترق هى الاخرى وينجو الزوجان ليهيما على وجهيهما جائعين يطلبان اللقمة فلا يجدانها .. ويحاولان توقيف أى عربة فلا يقف لهما أحد .. فكل واحد لا يفكر الا فى نفسه ..

وفى النهاية تقف لهما عربة زبالة يقودها زنجى .. وترى الزنجى يقضم قضمات كبيرة من سندويتش فى

يده .. فيطلب منه الاثنان لقمة فيعطيهما « فتفوتة » ..

ـ ولكن هذه « فتفوتة » ! ..

ـ انها بالضبط ياسيدى نفس النسبة التى تعطيها لى أمريكا من خيرات الكونغو ..

وعلى عربة الزبالة يصلان الى بيت الأم فى الريف .. بيت أنيق فى وسط ضيعة ..

والأم غنية ولها أطيان ومزرعة لتربية الدواجن ولا تريد أن تعطيهما شبرا من أملاكها ..

وحسب الوصية لابد أن تموت الأم ليرث الأبناء .. والأم عجوز ولا تريد أن تموت ..

ويقتل الاثنان الأم ويرثان الضيعة ..

ونسمع على الحشيش فى الحديقة المجاورة شابا يقرأ من كتاب شعر فى يده :

ـ متى يمنحنا الله ساعة صفاء ؟

ويجيب علينا الفيلم كله .. وهذا ما حدث حينما منحكم الله ساعة صفاء .. وخرجت مدينتكم الظالمة لتمرح ..

وينتهى الفيلم بهجوم الهنود الحمر وحشود يأجوج

ومأجوج وعصابات من البرابرة البيض والصفر على هذه المدينة الظالمة التى تمرح ..

ونرى مناظر ختامية لعالم خلا من الله والقانون والمحبة والنظام .. مناظر تصل الى ذروة فى البشاعة.. والفوضى والقتل والاباحية .. النهاية التى يتوقعها المؤلف لحضارة القرن العشرين ..

وهذا هو الفيلم الذى يعرض فى خمس سينمات فى وقت واحد فى باريس ويدور حوله الجدل العنيف ..

وفيه كما فى مسرح « ارابال » النذير المشئوم .. ونفس النبرة المقبضة .. بأن أوروبا تعيش فى عالم بلا إله .. وبلا أمل .. وانها على حافة الهاوية ..

لقطات من لندن

فى هايدبارك سمعت هذا الحوار الطريف :

الخطيب شاب أسود افريقى ثائر والمستمعون عدة مئات من الانجليز والبيض من مختلف الجنسيات ..

والخطيب ينقد بشدة الاوضـاع داخل بريطانيا .. رأس المـال المتحكم وتجار السـلاح ونهب الشعوب وامتصاص دم المستعمرات فى الوقت الذى يرفض فيه أى صاحب عمل تشغيل السود ويفضـل عاملا أبيض سكيرا مدمن مخدرات مصابا بالشذوذ الجنسى لمجرد انه أبيض ..

ويرد عليه خنفس من الواقفين شعره ناعم ومسترسل حتى كتفيه :

ـ اذا كانت لا تعجبك بلادنا فلماذا لا تعطينا عرض اكتافك وتحل عنا وتعود الى بلاد القرود التى تعيش فيها .. أراهن أن لك ذيلا تخفيه تحت هـذه العبـاءة



الحمراء الفضفاضة التى تلبسها « ضحك » ..

ــ أنا لى ذيل فعــلا ولــكن ليس من الخلــف وبالمناسبة ياسيدى أو سيدتى .. فى الواقع أنا فى حيرة .. هل انت رجل أو امرأة

« ضحك وتصفيق » .

ويرد الخنفس فى هدوء :

ــ أنا أناقشك على مستوى سيابى أرجوك ألاتخرج عن الموضوع .. لقد طرحت عليك سؤالا محددا فلم تجبنى عليه .. اذا كنا لا نعجبك فلمــاذا لا تغور فى داهية وتريحنا ..

ــ أنا مستعد أن أغور فى داهية وأعود الى بلادى. اذا غار فى داهية اثنان ونصف مليون انجليزى متشرد هلفوت يعملون فى قارتى افريقيا .. دخلوها دون دعوة ودون استئذان .. دخلوها قفزا من النوافذ .

ــ دخلوها ليعلموك ويمدنوك ..

ــ علمونى الوصايا العشر وقالوا لى : لا تسرق .. لا تسرق السيجارة ورأيتهم يسرقون حقول التبغ كلها وحقول الشــاى والقمــح والقطن ومنــاجم الذهب

والحديد ويسرقون أولادى ويبيعــونهم فى أســواق النخاسة .. لا تقتل جارك ورأيتهم يقتلون بدل الجار مليون جار بالقنابل الذرية .. لا تزن مع امرأة ، ورأيتهم يزنون مع الرجل . . .

ـ لا تنسَ أننا دخلنا افريقيا لنجدكم عراة برابرة نيام نيام آكلى لحوم البشر .

ـ انه لأمر مؤسف ياسيدى اننا أقلعنــا عن أكل لحم البشر .. فالواقع انى أرى انك آكلة شهية جدا .. دجاجة لذيذة تغرى بالقضم « ضحك وتهريج » .

ويرد الخنفس فى هدوء :

ـ ألم يكن من الأولى أن تأخذ أمك العزيزة أقراصا لمنع الحمل حتى لا تلد خنازير وغوريلات مثلك .

ـ يبدو ان الكثيرات من الانجليزيات الجميــلات من أهل بلدك لهن وجهة نظر أخرى فهن يفضلن صحبة الخنازير والغوريلات أمثالنا .

ـ رد على ردا سياسيا .. قل لى ماذا يحدث لو أن الرجل الابيض حمل ما بنى لــكم من مدارس ومصانع ومستشفيات وعاد الى بريطانيا . وماذا يحدث لبريطانيا

لو حملتم أنتم اختراعاتكم ومبتكراتكم وعدتم بها الى الغابة .. ياسيدى ، الرجل الاسود صفر .. وهو غير موجود فى بلادنا ووجوده مثل عدمه . أما نحن فاذا هجرنا بلادكم فانها سوف تتحول الى خراب لأننا نحن الحضارة .

ــ الحضارة بدأت من افريقيا .. من مصر ، اذا كنت قرأت التاريخ .. وهى سوف تعود الى افريقيا .. الحضارة تنتقل حيث يحلو لها وحيث يوجد من يعمل لها ويسهر من أجلها ويعزق من أجلها وليس حيث تسهرون أنتم فى البارات وفى صالونات الحلاقة تحت اكشسوارات « ضحك من البنات » .

وبين الجمهور عشرات من البنات سن ستاشر يتابعن ويتحمسن ويشتركن فى المناقشات .

ولندن الآن تحولت الى هايد بارك كبيرة .. فى كل خطوة تسمع نقاشا حادا فى السياسة .

ولا يدور فى ذهن الناس الا السياسة .

فى الصحيفة ، فى الكتاب ، فى الاذاعة ، فى التليفزيون فى المسرح ، فى السينما ، نفس القلق ونفس الاسئلة

والكابوس الجاثم الذى اسمه اليمين واليسار .

والفيلم الذى بروج هو الذى يضيف تحليلا جديدا الى الموقف السياسى .

فى فيلم ايطالى للمخرج بارتولوتشى يعرض الآن فى لندن وباريس نرى الازمة السياسية مطروحة بطريقة جديدة .

وبطل الفيلم عضو فى الحزب الشيوعى ، من ذلك النوع المتحمس الذى ينتقد كل شىء ولا يرضى عن أى شىء .. وأى تهاون فى نظره خيانة .. وأى انحراف جريمة تاريخية .. وأى تشاؤم اثم لا يغتفر .. وأى تردد بورجوازية .. وأى اعتدال رجعية .

ونراه يحمل شعار « انت بورجوازى » يلقى به فى وجه كل من يقابله .. وعينه مفتوحة كعين الصقر تلتقط كل ظاهرة بورجوازية من تسريحة الشعر الى ربطة العنق الى الحذاء اللميع الى بذلة السهرة .. لقد تعلم جيدا الدرس الذى سمعه من سيزار فى الحزب . ما هى البورجوازية .. حب المظاهر الفارغة والفخفخة وجنون الموضات والجرى وراء الالقاب والشهرة

والخضوع للـذوق العام ومحاولة الانتساب للطبقـة الارستقراطية وتقليدها .. العجز عن الخروج من قبضة العرف والعادة والخوف من مخالفة رأى عام ولو كان خطـأ . تقييم كل فرد بما فى جيبـه .. الجبن أمام المسئولية والقـاؤها على الآخرين .. احترام المنصب وليس العمل .. الفردية ، السلبية ، كل هـذه سمات البـورجوازى .. وعليـه أن يكتشـفها ويفضحهـا ويحاربها ، فالبورجوازية هى عدوة الثورة والاخـلاق البورجوازية هى التى تقعد بالشعب عن بلوغ أهدافه. والأخلاق البورجوازية قد توجد فى العامل والفلاح ..

العامل الصغير الذى يفكر فى ان تكون له ورشـة صغيرة مثل صاحب الورشة التى يعمل بها بورجوازى والفلاح الذى يطمع فى ملكية عشرة فدادين مثل المالك الذى يعمل عنده بورجوازى .

وبطلنـا يعى الدرس جيدا وينطلق من أول الرواية الى آخرها مثل كلب الصيـد .. يهاجم ويتهم ويدمغ بالخيانة والانحراف ويلقى المحاضرات ويناقش ويصنف الشعارات والنداءات المحبـوكة المسـبوكة ، ويضع

كلبشات المنطق فى يد تعيس الحظ الذى يقع تحت يده ويودى بصديقه إلى الانتحار فى لحظة يأس .

ونحن نفاجأ فى آخر الرواية ببطلنا العظيم هذا يخون حبه الوحيد ويتزوج من امرأة ارستقراطيـــة من أسرة اقطاعية عريقة ونراه فى بنوار من أوبرا روما الى جوار زوجته فى بذلة سهرة أنيقة يرد التحية للوزراء ورجال المال عن يمين وشمال .

وحينما ينهار البطل أمام سيزار يقول فى صـــوت ممزق .. لقد ظللت طول عمرى أحارب البورجوازية فى الآخرين ونسيت انى أنا بورجوازى .. وكان يجب أن أحارب نفسى قبل أن أحارب الآخرين .. كنت أظن انى أنا الثورة .. ولكنى الآن أعلم جيدا اننا جميعـــا أنا وأنتم وكل ما نقول ونكتب نمثل مرحلة ما قبـــل الثورة .. وليس الثورة .

وحينما يرد عليه سيزار قائلا : اتهم نفسك ولا تتهم الحزب .. نرى من خلال الكاميرا ولقطات المخرج ان الفيلم يحاول أن يقول لنا أكثر من هذا .. فكل ما فى عالمنا اليوم من ثورات هى مراحل ما قبل الثورة فى

نظر المؤلف والمخرج .. انهـا الثورات التى يجب أن تثور على نفسها اذا أرادت أن تحقق حرية حقيقيـة للانسان وليس شعارات زائفة كاذبة .

والفيلم يقدم هذا المضمون السياسى من خلال قصة غرامية غاية فى الرقة .. قصة تنتهى بخيانة الحبيبة التى تمثل كل المبـادىء الشريفة التى كان يدعيها البطـل وينتحلها .. والنبرة السياسية خافتة طول الوقت تطل من بين السطور ويجهر بها الصـمت دون أن تنتقل الكاميرا مرة واحـدة الى الحزب الشيوعى وخلاياه ومنشوراته .

واذا ذهبنا الى المسرح وجدنا ان معظم موضوعات المسرحيات سياسية .

فى مسرحيـة « الرقم ١٠ » التى يعرضهـا مسرح ستراند هذا الاسبوع يقـدم لنا المؤلف رونالد ميلر صورة خيالية لأزمة سياسية تحدث سنة ١٩٦٩ ولكننا نفهم من أحداث الرواية اننا نعيش بالفعل هذه الازمة أو اننا نسير اليها بخطى مسرعة .

والمؤلف يقدم لنا ما يجرى من أحداث فى بلد خيالى

اسمه زمبارديا .

ونفهم ان زمبارديا تقع فى جنوب افريقيا وان زعيم زمبارديا ثائر وطنى استطاع ان يحقق لبلاده مكاسب اجتماعية عظيمة .

وهـذا الزعيم اسـمه « تيموى » يخطط لضرب الاستعمار البريطانى فى بلاده ضربة قاصمة .

وتفتح الستار فى الفصل الاول على مجلس الوزراء البريطانى مجتمع وجو الجلسة مكهرب متوتر ووزير الدفاع يقول ان معلومات المخابرات المؤكدة التى تحت يده تقول ان « تيموى » سوف يؤمم مناجم النحاس فى زمبارديا ، وان هذه الضربة ستكون ضربة قاصمة لاقتصاد بريطانيا وهيبتها ، ولا بد من اتخاذ اجراءات سريعة وحاسمة لتدارك الـكارثة

ورئيس الوزراء يقول :

ــ هل تريدنا أن نعلن الحرب على زمبارديا ؟ ..

ــ لابد من اسقاط تيموى بأى ثمن .

ــ ومن يدريك ان اسـقاط تيموى أن يؤدى الى ظهور تيموى آخر ؟ ..

وتحتد المناقشة وتشترك عدة أصوات :

ـ اننا لن نستطيع ان نوقف المد الوطنى فى هذه البلاد بالعنف .. ان العنف فى هذه المسائل لا يجدى .

ـ ان المد الوطنى يحمل معه أخطارا تهدد الوجود البريطانى فى القارة ولا يجب أن ننسى اننا ما زلنا نعتمد فى خاماتنا ومواردنا الأولية على افريقيا وما زالت افريقيا هى سوقنا الرئيسية .

ـ اننا لا نستطيع ان نرسل بحملة بحرية الى شواطىء زمبارديا من أجل استرداد مناجم النحاس .. ان ما كان يمكن عمله فى القرون الوسطى لايمكن عمله الآن .. ان العصر تغير .

ـ هل نقف مكتوفى الأيدى ومصالحنا مهددة ؟ ..

ـ نستطيع ان نقوم بعمل سياسى فى مجلس الامن.

ـ بدون تأييد أمريكا لن نستطيع ان نحصل على أغلبية كافية .. وسوف تتلكأ القرارات بين الادراج بينما مصالحنا تضرب فى افريقيا ونطرد خطوة خطوة الى البحر .

ـ ان الازمة الاقتصادية فى بريطانيا لا تحتمل الانفاق على أى خطة عسكرية .. ليس عندنا بديل

للمفاوضة وهنا يدق وزير الدفاع بيده المائدة صارخا :

ـ أتعلمون ماذا ستكون نتيجة الفراغ السياسى الذى تتركه فى افريقيا .. ان الصين سوف تملأ هذا الفراغ .. بل هى تتحرك لتملأه بالفعل .. وهذه الخرائط والصور التى التقطتها أقمار التجسس للمنطقة « يبسط عددا من الخرائط أمامه » تدل على ذلك .. « يشير بيده » قواعد صواريخ صينية .. مطارات فى زمبارديا عليها عشرات الطائرات الصينية .. قاذفات طوربيد صينية على الساحل .. الصين فى افريقيا .. الصين فى آسيا .. سنوات قليلة أخرى ثم تضع قدميها فى استراليا ، ولا يبقى لنا الا أن نموت جوعا فى الجزر البريطانية أو نحارب بعد فوات الأوان ألف مليون صينى وآسيوى وافريقى مسلحين بالقنابل الهيدروجينية حربا تكون فيها نهاية جنسنا الابيض .

وتنزل الستار على هذه الاخطار المدلهمة . فاذا كان الفصل الثانى فنحن نرى، ان الرئيس تيموى قد أمم مناجم النحاس بالفعل ونرى انجلترا تسحب خبراءها من المناجم فى محاولة لشل العمل فيها ولكن الخبراء

الانجليز يخرجون ليدخل الخبراء الصيـــنيون مكانهم وتستمر المناجم فى عملها وكأن لا شىء حدث.. ويوافق رئيس وزراء بريطانيـــا على عمل مظاهرة بحرية أمام سواحل زمبارديا على سبيل الارهاب . الارهاب فقط..

ولكن وزير الدفاع يقترح عملا عسكريا أكثر حسما.. يقترح التضامن مع جارة زمبارديا روديسيا .. التضامن مع الاقلية البيضاء فى روديسيا لشن هجوم مزدوج على زمبارديا واســقاط تيموى .. ويرفض رئيس الوزراء هذا التهور ويحذر وزير الدفاع من أى اتصال بالاقلية البيضاء فى روديسيا لما هو معروف من عداء تاريخى بين زمبارديا وبين هذه الاقلية البيضاء .

ولكن وزير الدفاع يمضى فى التواطؤ والتآمر مع حكومة هذه الاقلية البيضاء سرا ليــدبر انقضاضــا مفاجئا على زمبارديا .

الى هنا تســير الاحداث شــبه متوازية مع أزمة السويس .

ومن الواضح ان المؤلف يتخيل أزمة مشابهة .

ولكن الستار سوف تنزل على نهاية مختلفة تماما .

فرئيس الوزراء يكتشف التواطؤ بين وزير حربيته وبين حكومة الاقلية البيضــاء فيضطره الى الاستقالة ويدعو فورا الى اجتماع قمة يشـترك فيه تيموى مع الرئيس الامريكى فى محاولة لتسوية سلميـة ونراه يحجز الطائرة ليسافر فورا لحضور الاجتماع ونسمعه يقول :

ـ سوف أخالسبهم وأدير دفة السـفينة الى البحار الآمنة .

ونفهم انه سوف يسعى الى السلام بأى ثمن .

انها محنة الرجل الابيض أمام يقظة الشعوب الملونة .. أمام زحف الصين وانتفاض افريقيا .

والمؤلف لايرى حلا لهذه المحنة سوى قبول الأمر الواقع وطلب السلام بأى ثمن ولو كان الثمـن هو الهزيمة والتراجع الى الصفوف الخلفية من التاريخ .. فأى صدام هذه المرة سـوف يكون فيه القضاء على الرجل الابيض وعلى حضارته .. فهناك ألف مليـون « سبارتاكوس » .. وليس « سبارتاكوس واحد » .

ترى هل يفكر الساسة كما يفكر المؤلفون .

وهل ينتصر العقل ! ؟

.. ان ساعة الامتحان تقترب .

الله في لندن

٣٣ ميدان بلجراف ــ مارلبورن .

يا طالما قرأت عن العجائب والمعجزات التى تجرى فى هذا العنوان .

روايات رواها لنا أبو الخير نجيب وعلى راضى عن أرواح تتجسد فىالظلام وكراسى تطير فىالهواء وأبواق تتكلم دون أن يتحدث فيها أحد .

مبنى أنيق من طابقين .

فى الطابق السفلى مكتبة تحوى كل ما فى العالم من كتب عن الروحية وتراجم انجليــزية لــكل الــكتب السماوية بما فيها القرآن وقاعة مكتوب عليهــا قاعة سير كونان دويل «المؤلف المعروف صاحبكتب شرلوك هولمز وكان رئيسا للجمعية فى أواخر حياته » .

تقدمت من السيدة الواقفة على مكتب الاستعلامات أسألها عن نشــاط الجمعية فقالت انهم يقدمون هنــا


MADAD

محاضرات يومية عن المشكلات الروحية بالاضافة الى عروض خاصة يقدمها أصحاب المواهب ممن عندهم قوى روحية .. وان هناك عرضا خاصا الليلة الساعة السابعة مساء . والتذكرة أربعة شلنات .

مبلغ زهيد جدا فى مقابل رؤية كرسى يطير فى الهواء وروح تتجسد من عالم الظلام ..

ولكن السيدة صححت معلوماتى قائلة : انه لم يعد هناك وسطاء من هذا النوع الذى تفكر فيه ممن يجسدون الارواح أو يرفعون الموائد فى الهواء .. لا أحد الآن يقوى على رفع نملة .. العالم الآن أصبح ماديا جدا لم يعد يجود علينا بأمثال هؤلاء الوسطاء ..

ـ ولكن العالم كان ماديا أيضا منذ عشر سنوات حينما كنا نقرأ هذه الروايات ..

ـ نعم .. فى الواقع أنا لا أدرى لماذا لم يعد يتقدم لنا أمثال هؤلاء الموهوبين الآن ..

وكنت أقول فى نفسى ربما لأن الوسائل العلمية المتطورة الآن أصبحت كفيلة بكشف أى خدعة مما كان يسهل حبكها وترويجها أيام زمان .

ـ اذن ماذا سنرى من عروض الليلة ياسيدتى ؟ ..

ـ عندنا مشـايخ مكشوف عنهم الحجاب يقدمون عروضا فى الجلاء البصرى وأعطتنى كتيبا صـغيرا فيه جداول بعروض هؤلاء المشايخ ..

وكان الكتيب يضم عديدا من الاسماء .. الشيخة مارى هويفـر ، الشـيخة نورا بلاكورد ، الشـيخة ماجدالين كيلى ، الشيخ جاك ماكاى ، الشيخة فلورنس دربشير ..

وكان شيئا مثيرا بالنسبة لى أن أتفرج على ما يفعله الدراويش الانجليز.. شيئا يستحق الاربعة شلنات وأكثر

وضحكت بينى وبين نفسى ..

سـأرى الليـلة دراويش انجليز حقيقيين يفتحون الفنجان ويقرؤون البخت ويضربون الرمل فى لنـدن قلعة الحضارة المادية فى عصر الذرة .. انها فرجة حقا.. ولقد كانت حقا فرجة ..

قالوا لى : ان العرض سيكون فى الطـابق العلوى فى قاعة سير اوليفرلودج « المختـرع المعروف الذى اخترع صمام الراديو . وقد كان هو الآخر رئيسا لهذه

الجمعية فى أواخر حياته » ..

أسماء محترمة .. سير كونان دويل مؤلف له شهرته واحترامه ، سير اوليفرلودج مخترع عظيم استطاع تحويل راديو السماعة البسيط الى الراديو الناطق الذى نضعه الآن فى بيوتنا عن طريق الصمام الالكترونى الذى اخترعه، لاشك ان الجمعية تعرف كيف تروج لنفسها

وصعدت الى قاعة سير اوليفرلودج فى الطابق الثانى ..

كانت ممتلئة عن آخرها ..

ولكن لفت نظرى ان كل الموجودين عجائز ، وان ٩٠ فى المائة من هؤلاء العجائز نساء عجائز ..

وكانت هذه التوعية الواضحة بين الرواد تدل على أن الجمعية فشلت أن تخلق ايمانا حقيقيا أو تجتذب عقلا شابا واحدا ..

ونساء عجائز فى مثل هذا السن هن فى الغالب ضحايا الهستيريا والخوف من الموت ولكل واحدة ابن فقدته فى الحرب تتمنى أن تسمع صوته وعندها استعداد فطرى لأن تصدق أى همسة تقال لها عن العالم الآخر .

واحتلت حتى وجدت لنفسى مقعدا خاليا فى الصف الاول .. كان فى نيتى أن أسأل الشيخة هويلر عن طالعى وأرى هل تستطيع أن تعرف هذه الدرويشة الانجليزية عنى أى شىء ..

وبدأ العرض يعزف على الأرغن لتهيئة الجو .. ودخلت الشيخة هويلر .. امرأة فى الستين تضع نظارة طبية على عينيها ..

وقرأت الشيخة هويلر عدة ابتهالات وصلوات ، وردد الموجودون من خلفها : آمين ..

ورفعت أصبعى لأسأل الشيخة ، ولكنى فهمت ان هذا أمر غير ممكن وان لا أحد يستطيع أن يسأل الشيخة فى شىء ، ولكن الشيخة هى التى تختار بنفسها من تقرأ له الطالع من الموجودين .. وكان هذا أول شىء مريب فى الموضوع .. فمن يدرينى ان الشيخة تأتى كل مرة ومعها طقمها من المريدين والمطيباتية .. ولكنهم قالوا لى : انها مسألة ضمير .. وان هنا فى انجلترا النظام والقانون فوق كل شىء ..

أمرى الى الله ..

وأغمضت الشيخة عينيها وسرحت بعض الوقت ثم فتحت عينيها وأشارت الى امرأة فى الصف الثالث ..

ـ انت .. نعم .. انت ياسيدتى يا من تضعين قبعة حمراء على رأسك .. انى أرى حول رأسك هالة من النور .. انك امرأة طيبة جدا ياسيدتى .. كريمة سخية تحبين الآخرين ..

ونكست المرأة رأسها فى خجل وتواضع .. بينما أردفت الشيخة :

ـ انى أرى الآن الى جوارى روحا رفافة لشاب رقيق جميل يلبس حلة عسكرية لعله ابنك ياسيدتى .. فهو يشبهك تماما..وفهمت منه انه مات فى الحرب الاخيرة

ـ نعم .. ان لى ابنا مات فعلا فى الحرب الاخيرة ..

وتهلل وجه الشيخة .. فقد غمزت السنارة .. وأردفت تقول :

ـ اسمه جاك .. جاك .. جاك .. أليس كذلك ؟

ـ لا ياسيدتى ..

ـ اذن فاسمه ماك .. ماك ..

ـ لا ياسيدتى ..

ــ اذن فاسمه بلاك .. بلاك ..

ــ فى الواقع اسمه ماكاى ..

ــ آه .. وكنت تنادينه على سبيل الدلع ماك ؟ ماك .. هكذا رن فى أذنى .. انت تعرفين ان الاسماء تختلط فى عالم الروح .. ان جاك قريب جدا من ماك ومن بلاك ..

ولكن السيدة الانجليزية جدا كانت مصرة على تصحيح كل كلمة فأجابت فى هدوء :

ــ لم أكن أناديه ماك .. ولكن كنت أناديه ماكى ..

وقالت الشيخة التى وقعت فى شر أعمالها :

ــ حسنا .. ان ماكى وجاكى وبلاكى من فئة واحدة أليس كذلك ؟ على أى حال .. هو يقول لك انه سعيد جدا .. وانه سوف يحتفل معكم فى ديسمبر ــ ويبدو أنكم سوف تحتفلون فى ديسمبر بشىء ما .. خطوبة على ما أعتقد ؟

ــ لا ياسيدتى ..

ــ اذن هو عيد ميلاد ؟

ــ لا ياسيدتى ..

ـ اذن هو عيد زواج ؟

ـ لا ياسيدتى ..

ـ اوه .. انه الكريســماس .. كيف ننسى هــذا يا الهى .. ها هو يبتسم ويضحك معنا ..

ـ انه يسألنى الآن عن العمة ليزا ؟

والسيدة الانجليزية تسأل فى حيرة :

ـ من هى العمة ليزا ؟

ـ ليزا أو اليزابث .. أقول ليزا أو اليزابث ..

وبدت الحيرة على وجه السـيدة .. وكانت الشيخة ما زالت تعصر فى ذهنها .

ـ ليزا أو اليزابث أو أليس أو دنيس ..

ـ نعم .. أليس .. عندنا أليس ..

ـ العمة أليس ..

ـ هى خالة وليست عمة .

ـ الخالة أليس .. الفرق ليس كبيرا على أى حال بين خالة وعمة .. يبدو انه كان يعزها كثيرا ؟

ـ انه لم يرها مرة واحدة فهى فى استراليا ..

ـ نعم .. ولهذا فهو يفكر فيها دائما ويسأل عنها..

من الواضح انه كان يريد أن يراها .. يا له من ولد رقيق طيب.. انه كان يحب لعب الكرة كثيرا وهو صغير.
ـ لقد كان بطلا فى فرقة الجيش ..
ـ أوه .. ألم أقل لك انه يحب لعب الكرة ..
انه ما زال مغرما باللعب حتى فى العالم الآخر.. انى أراه يلهو بالكرة فى رشاقة بين قدميه ..
ـ لقد كان يلعب كرة السلة وليس كرة القدم ..
ـ أوه .. هذا أمر طبيعى ولهذا هو يفكر الآن فى لعب كرة القدم على سبيل التغيير.. واستمرت الدرويشة تتخبط فى عرض مداه ساعة بين تخمينات تصيب مرة وتخطىء عشر مرات ..
وفى طريقى الى باب الخروج استوقفتنى فتاة الاستعلامات لتقول :
ـ ما رأيك فى العرض ؟
ـ رأيى ان مدام هويلر ليست وسيطة جلاء بصرى لأنها لا تملك أى جلاء بصرى أو غير بصرى وعندنا فى مصر ثلاثون مليونا يستطيعون أن يتكلموا أحسن مما تكلمت مدام هويلر دون أن يدعى أحدهم ان عنده مواهب روحية ..

ـ هل عندكم وسطاء فى القاهرة ؟

ـ عنـدنا فى الحسين دراويش الواحد منهم بألف مدام هويلر ..

ـ حقا .. ولماذا لايأتون الى هنا لعرض مواهبهم ؟

ـ أعتقد فعلا اننا يجب أن نصدر لـكم الدراويش

وكانت مكتبة الجمعية قد بدأت تمتلىء بالرواد ..

وأخذت أدور بين الأرفف باحثا عن بعض الكتب ..

والظـاهر انى ظللت أبحث مدة طويلة لأن المشرف على المكتبة تقدم الى ليعرض مساعدته .. ولما أمليت عليه بعض أسماء الكتب التى أبحث عنها هز رأسه فى أسف قائلا : انها كانت هنا بالفعل ولكنها نفدت ، ثم أعطانى عنوان مكتبة متخصصة .. اسمها مكتبة واتكنز .. فيها كل ما يخطر على البال من كتب ..

ومكتبة واتكنز .. مكتبة عجيبة .. والشارع الذى تقع فيه هو شارع عجيب هو الآخر .. فأنت فى جو يشبه جو شـارع الازهر بمكتباته القديمة وكتبه الصفراء التى تبحث فى الأديان وفى الأرواح وفى التنجيم والسـحر .. وكتابة الأحجبـة .. واذا كنت مغـرما

« بالشبشبة » تستطيع أن تجد كتابا بالانجليزية يبحث فى « الشبشبـة » وتاريخ « الشبشبـة » وطـرق « الشبشبة » .. واذا كنت من هواة الجن تجد كتبا عن الجن ومراجع عن « شمهورش » ..

وصاحب المكتبة رجل عجوز خفيف الدم ..

وانجليزى حقيقى ..

وقفت أسأله عما فى مكتبته من كتب وعن رأيه فى هذه الكتب ، وهل حاول أن يقرأها ؟

فأجاب الرجل فى ابتسامة :

ـ مما يؤسف له ياسـيدى انى متخصص فى بيع الكلام الفـارغ .. ورأيى الحقيقى ان كل ما فى هـذه المكتبة كلام فارغ يجب أن يلقى فى صندوق القمامة.. مثلا هذا القسم هناك الخاص بكتابة الأحجبة .. لماذا نتعب أنفسنا بكتابة الأحجبة .. اذا أردنا النفع فعندنا أسلحة أقوى من الأحجبة .. ما هو الأجدى ، حجاب يجلب البركة ، أو شيك على بنك باركليز بألف جنيه استرلينى .. واذا أردنا الضرر .. لماذا لا نطلق الرصاص بدلا من استحضار شمهورش ! ..

ــ عندك حق .. فهذا العصر يقدم وسائل حاسمة وسريعة لتلبية جميع الرغبات ، وبساط الريح وسيلة متأخرة جدا وبطيئة من سبل المواصلات بالنسبة للصواريخ .. والشعب الانجليزى يعرف هذا جيدا على ما يبدو ، فأنا لا أرى زبائن كثيرة فى مكتبتك ..

ــ ولهذا نبيع الكتب بأسعار مضاعفة لأن زبائنها قلة .. وكلهم من المجانين .

وكانت مصادفة طريفة حينما جلست أشاهد التليفزيون فى المساء .. فرأيت المذيع يقدم حديثا مع أحد القسس .. قال المذيع فى أدب :

ــ سيدى الأب سمعنا جميعا انك تقدم فى كنيستك المرطبات وانك جعلت منها مرقصا يرتاده الفتيان والفتيات لقضاء أوقات مرحة من الرقص على أنغام اسطوانات الخنافس .. سيدى الأب نريد أن نفهم بالضبط ما هى رسالة الكنيسة فى نظرك ؟

وأجاب الأب فى وقار :

ــ الكنيسة ليست ملجأ عجائز.. سيدى لقد تحولت الكنيسة الى مقبرة بانعزالها عن واقع الحياة .. واذا

استمرت الكنيسة تقدم للشباب ما لايطلبه وما لايفكر فيه فسوف تتحول الى قبو مهجور ولن يدخلها أحد.. لن يتبقى من رواد الكنيسة الا عجائز تجاوزوا سن الفعل والتأثير .. فهل هذه رسالة الكنيسة ؟ اننا نفهم دور الكنيسة خطأ .. دور الكنيسة الحقيقى أن تقدم للشباب احتياجاته ..

ـ والكباريه يقدم للشباب احتياجاته أيضا ولكن أظن من الواجب ان يكون هناك فارق .

أنا أفهم ان تقدم الكنيسة للشباب احتياجاته الروحية

ـ ان كلمة روح كلمة مضللة جدا . واسمح لى أن أقول ان هذه الكلمة لم يرد ذكرها فى الانجيل .. واننا أوردناها كترجمة خاطئة لكلمة « كيان » بالعبرية .. الانسان جسم وكيان فى الانجيل وليس جسما وروحا .. والكيان كلمة أشمل وأصدق .. والعواطف والرغبات هى من صميم ذات الانسان وكيانه .. ويجب أن تقدم الكنيسة غذاء العاطفة .. ان الحب ليس شرا .. وانما الشر ألا نكون صادقين فى حبنا .. وهذه وظيفة الكنيسة التى تبارك الحب لا ان

تدمغه بالخطيئة ــ ان تجعل من الشاب محبا صادقا ، بهذا وحده يمكن ان يكون للكنيسة دور فى الحياة وان تكون بيتا يؤمه الاحياء لا بيتا يؤمه الاموات .

والحق انها لشهادة من رجل دين تستوقف التأمل .

وأمر طريف نماية الطرافــة من قسيس محترف ان يقول ان كلمة روح كلمة مضللة ويقول ان الانســان جسم وكيان وليس جسما وروحا ، منكرا بذلك الروح بطريقة غاية فى التهذيب أمام عشرة ملايين مستمع

لاشك ان الحضارة المادية انتصرت فى أوروبا

ولاشك انالله فكرة لاوجود لها بالنسبةللعقليةالغربية

ولاشك ان الروح بالنسبــة للرجل الغربى خرافة بالرغم من الجمعيــة الروحيــة ٣٣ ميــدان بلجراف مارلبورن وما كتبه عنها على راضى وأبو الخير نجيب.

والأمر يستدعىأكثر منجمعية روحية .. ليعودالايمان الأمر يستدعى نزول المسيح شخصيــا ليمشى على الماء أمام مائة مليون أوروبى ليبــدأ الأوروبى يفكر بطريقة مختلفة ..

وربما لوفعل لاستبقت ملايينالأيدى لصلبهمنجديد

التفكير بطريقة جنسية

كان الخطيب الزنجى فى هايد بارك قد جمع حوله أكثر من ثلاثمائة مستمع ومستمعة .

جمهــور غفير من الانجليز كان يستمع فى اهتمام شديد والخطيب الزنجى يحكى فى تفاخر شديد .

كانت ليلة من ليالى ربيعكم الجميل وكان هناك فتى انجليزى من فتيانكم المدللين يسير فى حى سوهو وقد التقط احدى بنات الليل .. وسرت خلفهما لأرى ماذا سوف يحدث . ورأيتهما يصعدان الى غرفة من هــذه الغرف اياها .. وانتظرت وأنا أنظر فى ساعتى .. واذا بهما يهبطان بعد عشر دقائق ..

سيداتى سادتى هــذه حكاية تأخذ فى بلادنا ثلاث سـاعات على الاقل . هو الفرق بين الرجل الابيض والرجل الأسود « تصفيق من البنات والسيدات » .

وسمعت انجليزيا يعلق من خلفى .


المفكر

ـ هذه طريقة غبية من اضاعة الوقت ياسيدى .

وتعليق آخر أكثر برودا ..

ـ والنتيجة أيها البهائم هى كثرة النسل والمجاعة . ثم لا عمل لاطعام هذه الأفواه الزائدة .

انجليزى آخر ـ بعد مثل هـذه الساعات الثلاث الهنيئة لا يفكر الواحد منكم الا فى ساعات مثلها من النوم .

انجليزى آخر ـ لا مانع عندنا من ان تتفوقوا علينا بهذه الطريقة .

وتقدم شاب انجليزى يرسل شعره طويلا على كتفيه ليقول :

ـ أليس أولى بكم أن تحاولوا احراز هذه البطولات فى ميادين القتال بدلا من احرازها فى الفراش .

وأجاب الزنجى فى سرعة خـاطر ناظرا الى شـعر الخنفس الطويل :

ـ اعذرنى ياسيدى أقصد ياسيدتى ... الحق اننا لم نعد نعرف كيف نميز بين الرجال والنســاء فى لندن

وأجاب الخنفس بسرعة :

ــ ان الرجولة لا تصنع فى دكان الحلاق ولا غرف النوم ..

وصاح انجليزى آخر :

ــ لا مانع عندنا من أن نعطيكم نساءنا ونأخذ أرضكم .

وهذا الحوار القصير الذكى كطلقات الرصاص يستحق منا وقفة طويلة ..

فقد أصبحت عادة عندنا أن نشير الى انهيار الغرب ونستشهد بما يجرى من قبلات فى شوارع باريس لنقول : باريس الداعرة . ونصور شعور الاولاد المرسلة الطويلة فى لندن لنقول : لندن الساقطة ، ونهلل لخفض الاسترلينى ونقول : انتهت الرأسمالية ، أكلتها التناقضات .. اليوم انهار الاسترلينى وغدا ينهار الدولار وبعد غد يفلس الفرنك ويليه المارك ولا يبقى الا أن تشيع الجنازة .

ولا مانع من الحماسة ولكن النظرة الموضوعية أيضا مطلوبة اذا كنا نريد أن نسمى أنفسنا علميين .

هل انهار الغرب حقيقة اقتصادا وأخلاقا .

الجنيه الاسترليني انخفض عشرين فى المائة هذا صحيح ولكن بالرغم من ذلك ما زال يباع بضعف سعره في السوق السوداء فى أوربا الشرقية كلها .. الجنيه باثنين .. وما زال عملة صعبة تحتال الحكومات للحصول عليها .

وليس السبب انه استرليني ولكن لأنه يساوى مقابلا من الانتاج الجيد المطلوب فى جميع الاسواق .. الاسترليني والفرنك والمارك والليرة معناها الرولز رويس والرينو والمارسيدس والفيات .

لن ينهار الغرب بسبب تبادل القبلات واطالة الشعر وتخفيض الجنيه ولكنه سوف ينهار اذا أنتجت الكتلة الشرقية انتاجا أجود .. واذا أصبحت الصناعات الغربية صناعات من الدرجة الثانية وغير مطلوبة . والفنون الغربية فنونا من الدرجة الثانية وغير مطلوبة

ان العمل والعمل وحده هو الذى يعطى الجنيه قيمته ويعطى الشعوب أهميتها .. العمل الخلاق وليس العمل الجنسى الذى لا ينتج سوى أفواه تأكل .

ويبقى للشرف معنى واحد .

انه العمل .. العمل .. العمل ..

ومنذ ١٢ سنة كتبت فى كتابي « الله والانسان » اننا ما زلنا نفهم الشرف فى بلادنا الشرقية بمفهوم ضيق جدا .. فالشرف عندنا هو « صيانة الاعضاء التناسلية » .. وللأسف ما زلنا نفهم الشرف بهذا المعنى .. ونحاول ان نحكم على الشعوب بنفس المستوى .. باريس داعرة لأنها تتبادل القبلات فى الشوارع ، انجلترا انهارت لأن الرجال أطالوا شعورهم لندن هى الشذوذ الجنسى .

وننسى ان فى القاهرة أيضا شذوذا جنسيا .. وان الفارق الوحيد هو الفارق بين السرية والعلانية .. وان كل ما فعله المشرع الانجليزى هو انه ساوى بين النص القانونى الانجليزى والنص المصرى وشطب العقوبة الخاصة باللواط والسحاق .. فأصبح القانون واحدا .. وهذا هو كل ما حدث .

ولكن خيل الينا ان انجلترا انتهت ..

ودائما نتصور إن انجلترا انتهت .. وان كل ما علينا هو أن نطيل العملية الجنسية الى ثلاث ساعات

بالحشيش ان أمكن ، فهـذه هى الرجولة والـكرامة والشرف واننا بهذا سوف نهزم العالم فهذه هى الرجولة الحقة .. وان الغرب سوف يموت من تلقـاء نفسـه بانتهاء الاستعمار فمن أين سوف يجد الغرب المسكين طعامه ونحن الذين نطعمه بالقمح ونكسوه بالقطن .

ولـكن فرنسـا خرجت من الجزائر ولم تمت من الجوع .

وانجلترا تخرج اليوم من الخليـج وترفض عروض المشايخ بالاتفاق على جيوشها لتبقى فى حراستهم وتقول لسنا رقيقا فى خدمة مشايخ البترول .

هل تموت انجلترا بدون استعمار ؟! ..

أعتقد انها سوف تموت اذا فكر الانجليز فى الدخول فى حروب جنسية تناسلية واذا فرغت أذهانهم فلم تعد تحتوى الا على مطالب الفراش ..

أما إذا شمر الانجليزى ساعديه وراح يعمل ويخترع ويبتكر فانه لا يموت ، وانما نموت نحن حتى بدون استعمار .. ألا نشترى القمح بعملة صـعبة وعنـدنا مساحات زراعيـة شاسـعة وملايين الفـلاحين .. ألا

ستجدى الهند القمح وهى أخصب البلاد أرضا .. ألا تحصدها المجاعات وتأتيها النجدات من الغرب المنهار المفلس .. ألا تتكلم ، ونتكلم ، وتتكلم .. ثم لا نعمل .

متى نفهم ان الرجولة هى الجلد على العمل وحمل المسئولية والصمود للعقبات الجسام والبطولة فى الميدان وفداء الاوطان .

وان المجد الحقيقى ليس مكانه مخادع الغوانى ، وانما المعامل والمصانع والحقول وميادين القتال .

وان أرخص الانتصارات كلفة وأقلها جهدا هى انتصارات الرجل فى الفراش .. فماذا يحدث فى الفراش ؟ ان الطبيعة هى التى تعمل هنا وليس الرجل ..

ومن السهل أن تنتصر الغريزة ، وتسود الشهوة .. ولكن أصعب الصعب أن يسود العقل .

والانسان لا يولد الا لحظة يسود عقله تصرفاته .. من تلك اللحظة فقط يبدأ تاريخه وعمره الحقيقى .

وهزيمة الرأسمالية التى نحلم بها لن تكون الا فى ميدان العمل وحده .

والرأسمالية طريق مسدود هـذا صحيح ، ولـكن الكذب على النفس طريق مسدود أيضا .. ولندن ذروة حضارة وليست ذروة دعارة .

والاشتراكية سوف تنتصر بأن يعمل الاشتراكيون وليس بأن يحملوا لافتات اعلامية وشـعارات جوفاء واتهامات باطلة .

ونحن نفتخـر فى الشرق بأننـا عاطفيـون مع ان الاستسلام للعاطفة علامة تأخر وليس علامة تقدم وانما علامة التقدم أن تخضع عواطفنا لعقولنا وتخضع عقولنا لارادتنا وتخضع ارادتنا لمثلنا العليا .

وبرود الانجليزى يدل على ارتقائه .

وفوران الرجل الشرقي يدل على طفولته .

والمجد أعمال وليس دواوين حماسة .

وفي عبارة قصـيرة مختصرة ذكية قالها الانجليزى تلخيص القضية كلها :

ـ لا مانع عندنا ان نعطيكم نساءنا ونأخذ أرضكم

لأنه يعلم انه اذا أخذ أرضنا وخيراتنا سوف يستعيد نساءه مع الوقت ويأخذ نساءنا أيضا .

ولاشك ان الخطيب الزنجى لم يكن موفقا حينما بدأ يتفاخر بقوته الجنسية .

وأغلب الظن ان هذه القوة كانت تنقصه فالرجل السوى لا يتحدث عادة فى مثل هذه الاشياء .. والمؤكد انه نسى ان هذه الناحية هى مظهر ضعف الرجل وليست مظهر قوته .. وشجعه تصفيق البنات الانجليزيات فتمادى ووقع فى الفخ وأطبق عليه الجمهور الذكى وأهلكه .

وكانت نهاية عادلة أن يهلك هذا النوع من التفكير.

ولكنى ما زلت أسأل نفسى :

ترى هل هلك هذا النوع من التفكير عندنا نحن أيضا ؟! ..

نصف ما ينشر عندنا فى الصحف وما يكتب من تعليقات يدل على اننا ما زلنا نفكر بهذه الطريقة الخاطئة .

فما زلنا نتكلم عن انهيار الغرب ونهنىء بعضنا بأن انجلترا انتهت والمجتمع الاوروبى تعفن وأكثر من هذا نسوق الأدلة والبراهين فظهور الادب الاسود ومسرح

اللامعقول والسيريالزم هى دلائل النهاية ، وننسى أنها دلائل خصوبة وقدرة على الابتكار والتلوين ودلائل طقس فنى واجتماعى حر يسمح لألف زهره بأن تتفتح ويسمح بالاتهام ولو كان نصبا للمشانق .

ولأن الفنانين فى انجلترا يقولون : تسقط انجلترا .. خيل الينا ان انجلترا سقطت .

ولكن انجلترا لم تسقط .

وانجلترا هى البلد الوحيد فى العالم الذى لم يحدث فيه انقلاب واحد طوال تاريخه سوى انقلاب كروموبل .. وما يزال الانجليز نادمين عليه .

لم تستطع معارك النقد أن تنال من ثبات عرش بكنجهام .

لأن عرش بكنجهام يستمد ثباته من ثبات شخصية المواطن الانجليزى العادى ومن برود الشخصية الانجليزية التى تسودها اعتبارات العقل والعلم والنظرة الموضوعية ولا تقودها العواطف والشهوات فتحب اليوم ما تكرهه غدا .. ومن ثبات الاقتصاد الانجليزى الذى يقوم على انصراف أربعين مليونا من المواطنين

فى عمل متواصل دائب وجاد يرفع مستوى المعيشة بالاستعمار أو بدون استعمار الى درجة من الرخاء مشبعة .

انه العمل مرة أخرى .

وسيادة العقل على البربرية العاطفية .

هى التى صنعت هنا وطنا متحضرا حرا مستقرا .

ولهذا تصور كارل ماركس ان الشيوعية سوف تبدأ فى انجلترا لأنها بلاد التمركز الصناعى والحرية الفكرية .

ولكن كارل ماركس أخطأ الحساب .

وأغلب الظن ان انجلترا هى آخر بلد سوف تدخله الشيوعية لأنها آخر بلد يحتاج الى الشيوعية .

وسوف يحتفظ الشعب الانجليزى بالملكة واللوردات ليضحك عليهم ويشتمهم فهذه متعة ضرورية هنا مثل الرغيف تماما .

فمن الحرية يصنع الانجليز ما هو أهم من كل النظم .. يصنعون فنونا تبقى للتاريخ .

بيروت بلد المتناقضات

لبنان « هونج كونج » الشرق الاوسط التى تفتح صدرها لكل أبناء آدم .. دمها خفيف جدا .. فقد أقنعت الجميع بأنها حصالة مأمونة يستطيع كل واحد أن يحوش فيها فلوسه دون أن يجد من يسأله عن ملته أو نحلته أو الطريقة التى حصل بها على الفلوس .. الكل سواء أمام البنك المركزى لا فرق بين درزى أو مجوسى أو نيام نيام من آكلى لحوم البشر .. الاحضان مفتوحة للجميع .. وأهلا وسهلا .. تكرم .. يعطيك العافية .. عيونى .. الله معك .. قبضنى .. ساوى حالى .. الله يخليك ..

والمثقف اللبنانى يحادثك فى أسى عن عدم وجود مبادىء وعن تطلع لبنان الى خطة واضحة

وهو حديث لمجرد الترف العقلى .. والاستهلاك الوقتى على قارعة الطريق .. أما ساعة الجد .. فأنت



تجد أكثـر من واحـد يقول لك : صرماية على كل المبـادىء .. مالنا نحن ومال ها المعركة .. نحنا هون بنحب الجميع .

وهى لغة القومسيونجى الذى يبيع للكل .. ويريد أن يروج بضاعته للـكل ..

واللبنـانى فى آخر الأمرَ له منطق .. فهو لايملك سوى منظر جميل ورقعة شاعرية على البحر ..

وليس فى لبنان بئر بترول واحدة ولا منجم حديد .. البئر الوحيدة هىجيوب الزوار.. والوسيلة الوحيدة هى نزحها فى رشاقة لتصـبح أنظف من الصينى بعـد غسيله .. هذه هى خطة التنمية ..

ولكى تؤتى خطة التنمية أحسـن ثمرة .. لابد أن تكون الصلة بالجميع حسنة .. والترحيب على أشـده لأى وارد من أى مبدأ .

ولا بد أن تتعدد وجوه الانفاق أمام هؤلاء الواردين .. فالخير دائما على قدوم الواردين .

فى كل شارع كباريه .. وبين كل كباريه وكباريه .. كباريه ..

وفى الليل تتألق أفيشات البارات وعلب الليل كأحسن ما يكون الاعلان عن باريس الشرق .

ولا أدرى لماذا انتعش فن الكباريه بالذات .. ربما لأنه أسهل وأسرع وسيلة لاقامة فاترينات جذابة للامتاع .. بدون جهد فنى يذكر .. فالكباريه لا يحتاج لأكثر من استئجار فرق متجولة جيدة واعداد موائد حافلة بالمزات والخمور .. أما السينما فأمرها يحتاج الى مؤلف قصة وكاتب سيناريو ومخرج وممثل وتنظيم فنى وجهد وعكوف طويل مضنى معرض بعد كل هذا للفشل .. والمسرح يحتاج الى جهد أكبر .. وهو بعد هذا غير مضمون كمصدر ايراد .. فزبون الثقافة غير مضمون وخصوصا بين سياح عابرين عبوروا عاجلا طالبين متعا سريعة ..

ولهذا أصبحت بلد الكباريه بلا منازع .

كباريهات تحت الارض .. وفوق الارض .. وفوق السطح .. وفى أقبية .. وفى خنادق .. وفى كهوف أثرية ..

والفن الاذاعى والفن التليفزيونى ليس أسعد حالا

من الفنون الأخرى ..

فالاذاعة والتليفزيون فى بيروت هى قنـوات اعلان قبل أن تكون أى شىء آخر .. وهى محدودة المجال محدودة القوة .. والفن فيها ثانوى ..

والمواطن اللبنانى انسان حبوب لطيف مرح .. محب للحياة .. محب للرقص .. محب للغناء والمرح والشرب .. وهو يكسب كثيرا وينفق كثيرا ..

والطبقة التى تسكن بيروت غالبيتها طبقة متوسطـة تشتغل بالتجارة وتعيش فى رخاء نسبى .. والطمـوح الشائع بينها .. هو طموح مادى وشخصى .. لا طموح قومى .. والايديولوجيـة الرائجة هى الحرية الفردية بلا حدود وبلا ضوابط .. والثراء بسرعة وبأى طريق..

ولكن لبنان مع هذا لا يمكن تلخيصـها فى هـذه الكلمات القليلة .. ولا يمكن مسحها اجتماعيا وفكريا بهذه البساطة .. ففى لبنان متناقضات حادة .. وأعماق .. وقلب .. ولباب غير القشرة الاجتماعية التى تبدو للسائح عند أول نظرة ..

واذا كانت القشرة الاجتماعية بما فيها من كباريهات

ومراقص وعلب ليل تبدو فى ظاهرها مصداقا لهذه الصورة من التحلل الفردى والمادية والمتاجرة .. الا ان المعايشة العميقة للمجتمع اللبنانى تكشف عن صورة أخرى مناقضة للأولى تماما .. فالاقلية اللبنانية المثقفة تبدو منسلخة تماما من هذا الواقع وثائرة عليه فى محاولة لتبنى قيما أرفع .. فى محاولة العثور على نفسها وحمل مسئولياتها ..

المثقف اللبنانى يحاول أن يجد نفسه كفرد فى عالم يعاصر كل مشكلة فى هذا العالم باحساسه وعقله ويشارك فى حلها.. ويقوم بدوره كفرد مسئول لاكمجرد بائع فى دكان .

والمناقشات فى كل قضية معاصرة .. سياسية وفنية وفكرية وعلمية تحتدم فى الوسط المثقف كجزء من الروتين اليومى ..

والكتاب اللبنانى يتابع بالترجمة كل ما يؤلف فى الخارج فى لحظة صدوره ..

والحياة الثقافية تبدو طازجة دائما على نقيض الشكل الاجتماعى الظاهر الذى يبدو للعيان بكل ما

فيه من تحلل وفردية وحياة استمتاعية فارغه ..

وفى وسط ركام التفاهات تبدو هناك انجازات رفيعة مثل ما يقــدمه الاخوان رحبــانى وفيروز فى مجــال الموسيقى مثلا ..

وفى أكثر من مجال نجد أمثال هذه الزهور البرية التى تفرز رحيقا نادرا ، فى مجال الشعر .. والقصة .. والرواية ..

وفى لبنان شهداء شرفاء سقطوا وهم يدافعون عن عروبة لبنان ..

ولــكن المثقف اللبنانى فى نهــاية الأمر مكبل .. ومغلول .. واقامته محددة .. لأنه يعمل داخل شــكل اجتماعى غير ملائم بحكم طبيعة تكوينه للتطور.. شكل اجتماعى غير طبيع يدور فى حلقــة مفرغة من المتاجرة والمنافسة المادية الحامية .. بما فيها المتاجرة بالمعنويات ذاتها .. والمتاجرة بالمثقف نفسه ..

وقيم المحبة والصــداقة والأخوة تختنق فى ســباق المصلحة وتكالب رأس المــال الذى يطحن فى طريقــه كل شىء ..

والشكل الاجتماعى مرتبط بالوضع السياسى والاقليمى للبنان كبلد صغيرة محدودة الموارد تتكسب من حيادها .. ومن عدم انحيازها لمبدأ .. أى مبدأ ..

وهكذا تمسك حلقة الضرورات برقبة المثقف ولا يجد منها فكاكا ..

لا حل سوى أن يصرخ .. ويناقش .. ويحاول .. ويفكر ..

ولكنه صراخ فى الهواء .. يضيع فى النهاية فى صراخ الجاز والبوجى بوجى والتويست فى ليل بيروت الاحمر الذى تنزف فيه ملايين الليرات ..

المثقف اللبنانى يعتقد ان له رسالة .. ومبدأ .. ودورا فى الحياة ..

ولكن لبنان كبلد صغيرة بلا موارد .. تعتمد على اللامبدئية كمورد رئيسى لحياتها .. اللامبدئية منجم يدر عليها كل فئات العملات من كل بلاد العالم بكافة اتجاهاتها ..

وبفضل هذه اللامبدئية تتدفق عليها رءوس الاموال الهاربة من رياح الاشتراكية فى كل مكان .. والنتيجة

رخاء مفتعل مصطنع مؤقت .. رخاء متسلل من الخارج .. وليس رخاء حقيقيا ناميا من الداخل ..

ولا يمكن أن يقوم اقتصاد حقيقى على مثل هذه العوامل الظرفية ..

انه يكون اقتصادا من ورق اللعب لا من ورق البنكنوت .. مجرد مقامرة ناجحة على التناقضات العربية الموجودة .. وهى متناقضات لن تدوم طويلا.. فمصير الدول العربية الى وحدة حتمية .. ومصير الرأسمالية العالمية الى الهزيمة .. فالرأسمالية العالمية سوقها وغذاؤها الاستعمار .. والاستعمار يضرب الآن فى كل مكان .. والاشتراكية تزحف لتحتل كرسيا بعد كرسى ..

والرأسمالية العالمية بدون أسواق وبدون مستعمرات وبدون حقول بترول .. ومناجم حديد ونحاس وشعوب متأخرة تنهبها وتسرقها .. مصيرها الموت جوعا ..

ولن يكون أمامها بعد ذلك الا أن تأكل بعضها بعضا ..

والمثقف اللبنانى الذى تفوته هذه الحقيقة لا يمكن

أن يكون مواطنا عالميا يعيش أزمة هذا العالم ويدرك أبعادها ..

واذا كانت لبنان المحدودة الموارد لايمكن أن تكتفى بذاتها فانها بانتمائها الى كيان عربى كبير تجد نسبهـا وكرامتها وعروبتها كما تجد الثمرة مكانها العزيز المنيع على الشجرة الاصل .

لا يمكن أن تعيش لبنان زوجة للـكل ..

لايمكن أن تعيش لقيطـة بلا أب بلا أم .. يكتب كتابها بالفرنسية .. ويكتب شاعرها سعيد عقل أشعاره بالحرف اللاتينى ..

انطلاقها من عروبتها لن يضمها الى العالم ولن يجعل مواطنها عالميا .. وانما يكون قيـدها فى دفتر العالم صحيحا .. بأن تكون نسبتها صحيحة من البداية ..

وبدون العائلة الصغيرة لن نعرف العائلة الكبيرة ..

بدون أن تعانى مشاعر الأم ومشاعر الأب ومشاعر الأبناء .. لا يمكن أن تكون أبناء فى العالم الكبير ..

والرجل المتحلل من كل الروابط والمسئوليات المطلق من زوجته المتبرىء من آبائه وأبنائه أصلح للانضمام

الى بار منه الى الانضمام الى عالم ..

ولكن لبنان بكل متناقضاتها لم تجعلنى أكرهها .. وانما كانت بالنسبة لى شيئا مثيرا .

أثارتنى لبنـــان برائحة زهور الليمون على جبالها ، وروائح الخمور فى باراتها .. بشبابها القلق العبقرى .. وشبابها العابث اللاهى ..

قال لى ياسر هوارى ، الصحفى والكاتب اللبنانى :

ــ انك لن تستطيع أن تغلق على نفسك الغرفة فى الفنــدق لتــكتب شــيئا فى الايام الاولى من نزولك بيروت .. ان بيروت سوف تشدك من فراشك .. ومن مكتبك .. ومن قلمك .. انت لا تعرف بيروت ..

ولكنى قلت له باطمئنان : أنا أعرف نفسى .

ولكن ثبت لى فى النهاية انى لا أعرف نفسى .. ولا أعرف بيروت .. وان صديقى ياسر يعرف الاثنين أكثر منى فما لبثت بيروت أن شدتنى من نفسى .. وسرقتنى من عاداتى .. وأيقظتنى أشعة شمسها المبللة بالنــدى بكرباجها المنعش فى الفجر لأقف كالطفل فى الشبــاك أجذب أنفاسا لاهثة من هواء البحر ..

وفى التاسـعة كنت أدخل فى ثيـابى وأهرول الى الخارج ..

وأمام كل دكان كنت أقف ساعة أمام الفاترينات ..

والفاترينات فى بيروت تبتز المال ابتزازا . وتصيب محدود الدخل بمركب نقص لا شفاء منه ..

وهم هناك يجيدون فن العرض .. وفن الاغراء .. حتى ورقة اليانصيب تجدها مقطوعة نصفين لاغرائك بشراء نصفها اذا كنت لا تملك ثمنها كله ..

والبائع تجده يحمل سباطة الموز بعناقيدها الشهيـة ويلوح بها وسط المارة ليبيعها أصبعا .. اصبعا .. لمن لايملك ثمن الكيلو أو النصف أو الربع ..

وأنت تجد كل واحد من المارة يجلب اصبعا ويضع فرنـكا فى اليـد الممـدودة .. ويمضى يقشر ويأكل ويشقشق بفمه .. منظر مغر .. هو الآخر بروباجندا .. ودعاية ..

لا مفر ..

لابد أن تدفع ..

وطول طريقك فى بيروت فى أى شارع أو زقاق أو

ناصية .. لابد أن تدفع ..

التاكسى بليرتين « أربعون قرشا » ولكن هناك تاكسى مثله بالضبط بثلاثة قروش .. لا تحمل هما .. ما دام معك ثلاثة قروش ادفعها وتوكل ..

ادفع .. ادفع ..

هذا هو الفن البيروتى .. يمسك بيدك ويضعها فى جيبك ويخرجها بأى شىء .. آى مبلغ ..

الاقمشة تجدها مزينة بالتوقيعات والماركات والحروف اللاتينية .. وهى تظل تحتال عليك حتى تشتريها ثم تكتشف حينما تصل الى القاهرة انها موجودة فى المحلات العادية بنصف الثمن .. ولكنها بيروت .. تعرف كيف تزغلل العين .. وتضيع العقل ..

وأنت تظل أسير الفاترينات والاعلانات .. حتى تفلس وتصبح على الحميد المجيد .. وحينئذ تجد انك قد فقدت القدرة على الحركة تماما .. فأنت فى لبنان بدون ليرات معناها .. معتقل .. مسجون فى زنزانة فراشك .. لا تستطيع أن تحرك ذراعا ولا ساقا.. فكل حركة بفلوس ..

ومعتقل بدون أكل وبدون شرب فالأكل بفلوس ، والشرب بفلوس .. والتنفس بفلوس .. والضحك فى سهرة أصدقاء بفلوس ..

والحرية فى لبنان خرافة ..

الحرية متاحة .. ولكن لايستطيع أن يحصل عليها الا من يدفع ثمنها نقدا وعدا .. من الليرات ..

انت حر فى أن ترشح نفسك فى الانتخابات .. ولكن فى الحقيقة لن تستطيع ترشيح نفسك لأن ادارة المعركة الانتخابية تحتاج الى نصف مليون ليرة ..

والذين نجحوا فى الانتخابات الاخيرة فيهم ١٢ مليونيرا والطبقة الغنية ممثلة بينهم بكاملها .

واذا كنت فقيرا مثلى فلن تجد فى مجلس النواب من يمثلك ..

وانت حر فى ابداء رأيك .. هكذا يقولون.. ولكنك تكتشف بعد أيام من اقامتك انك لابد أن تبيع هذا الرأى لمن يملك القدرة على تمويل صحيفة تنشر فيها رأيك . أقصد رأيه ، فأنت من تلك اللحظة سوف تعبر عنه وعن مضالحه لا عن نفسك .. ففى لبنان أكثر من

أربعين صحيفة يوميـة .. ولا يمكن أن تعيش هـذه الصحف على القراء وحدهم .. وكل تعداد لبنان كما هو معروف مليون ونصف ..

واذا كنت نجما لامعـا .. وأخـذ التليفزيون معك حديثا .. فسوف تقول المذيعة بعـد ختام الحديث : سيداتى سادتى قدم لكم هـذه الندوة الرائعة صابون « أومو » .. فصابون « أومو » فى الواقع هو الذى دفع تكاليف هـذه السـاعة من الهواء الذى قلته فى ندوتك عن الفن والجمال والفكر والفلسـفة الخ .. الخ .. وفى النهاية لابد أن تبدو وكأنك تغسـل قفاك أمام المتفرجين بصابون « أومو » ..

وانت حر ..

ألم أقل فى البداية انك حر جدا .. لدرجة تجنن ..

ولبنان تجنن ..

ولكنها مع ذلك دمها خفيف .. شربات ..

أيام في طرابلس

أجمل الخمور ما كانت معتقة ..

كلما زاد عمر النبيذ فى الدنان زاد سحره .. هكذا يقول المدمنون .

والحضارات شأنها شأن الأنبذة كلما ضربت بجذورها فى الزمن زادت عراقة ونبلا .. وكذلك المدن عظمتها بتاريخها ونصيبها من تقلب الأحداث .

كان هذا ما خطر لى وأنا أتمشى على شاطىء طرابلس .. فكل ذرة رمل كانت تقول لى هنا تاريخ .

تحت أقدامى حيث تلمع أصداف البحر .. من أغوار الزمن السحيق .. منذ عشرة آلاف سنة .. تقول لنا خريطة العالم القديم .. كان هذا الشمال الافريقى مسرحا للفيلة والغزلان والزراف والثيران والاسود والنمور .. وكان الليبيون الأوائل يعبدون الشمس والقمر ويصنعون الأسلحة من الصوان ويصنعون



الأوانى الفخارية من الطين المحروق ويستعملون الوشم .

ويمضى شريط التـــاريخ بضعة آلاف أخـــرى من الأعوام .. فأرى رسل خوفو يأتون الى هـــذا المكان خطابا يبحثون له عن عروسة ليبية يتزوجها ليأمن بهذا الزواج غارات الليبيين ويتفرغ لبناء هرمه الذى كان يحتاج لعشرين سنة من العمل المتواصل ..

ثم بضعة آلاف أخرى ويخرج من هنا رجل اسمه « شيشنق » يغزو دلتا النيل ويحكمها ٢٠٠ ســـنة وتعرف أسرته بين الفراعنة بالأسرة الثانية والعشرين ..

ثم يأتى الغزاة كأرجال الجراد . ويرتفع صليل السلاح ويتخضب ذلك الشاطىء الهادىء الجميل بالدم ..

وتمضى مواكب خلف مواكب ..

الاغريق.. الفينيقيون .. العرب .. الاسبان .. الأتراك الطليان .. الانجليز .. وأسماء مدوية .. الاسكندر .. بطليموس .. عمرو بن العاص .

وجيوش بعد جيوش تصبح ترابا .. وأطماع تذروها الرياح .. ومدن تدفنها الرمال ..

هنا بقايا قوس ماركوس أوريليوس .. وهنا حمامات

وأسواق رومانية .. وفى بلدة سيرين القريبة معبد أبولو .. ومن هذا الباب دخل عمرو بن العاص سنة ٢٣هجرية فى جيش من خمسة آلاف جندى ..

وفى سنة ٥٦٨ هجرية جاء قراقوش المشهور من مصر غاضبا مغضوبا عليه من الأيوبيين ليدخل طرابلس من هذا الباب غازيا ومعه عسكر كثير وينهب ويسلب ويقود البغال محملة بالذهب الى قابس ..

وهنا جلس بدرو نافارو القائد الاسبانى بعد أن فتح المدينة ليكتب الى نائب الملك فرديناند قائلا :

أيها السيد هذه المدينة طرابلس أعظم كثيرا مما كنت أظن .. وبالرغم من أن جميع الذين وصفوها قد أجادوا الوصف الا أننى أرى أنهم لم يجتازوا نصف الحقيقة .. وبين جميع المدن التى شاهدت فى الدنيا لم أجد مدينة تضاهيها سواء فى تحصيناتها أو فى نظافتها .. وهى تبدو كمدينة امبراطورية أكثر منها مدينة لا تخص ملكا واحدا ..

ومن هنا مر « التيجانى » المؤرخ حينما كتب فى كتابه « رحلة التيجانى » ..

« ولما توجهنا الى طرابلس وأشرفنا عليها كاد بياضها مع شعاع الشمس يعشى الأبصار فعرفت صدق تسميتهم لها بالمدينة البيضاء .. »

ويضيف فى مكان آخر ..

ورأيت شوارعها فلم أر أكثر منها نظافة ولا أحسن اتساعا واستقامة وذلك أن أكثرها تخترق المدينة طولا وعرضا من أولها الى آخرها على هيئة شطرنجية فالماشى بها مشى الرخ خلالها .. (الرخ هو قطعة الطابيــة فى الشطرنج)

وعن الغزو الاســبانى نعثر على خطاب كتبه الملك فرديناند الى قائده ..

استلمت رسائلك الثلاث الخاصة بتموين الحملة وقد أمرت بأن يكتب الى الونزو حتى يطحن بأسرع ما يمكن ألف كيس من القمح ويجهز كمية من البقسماط المجفف تكفى ثمانية آلاف رجل مدة ١٥ يوما .. كما كتبت الى خازن أموال ملقا بصرف عشرة آلاف دركات ووضــع كل ما يملك من امكانيات التموين تحت تصرفكم ..

هــكذا كانت تدبر المذبحــة لأهل هذا البلد منــذ

. أربعمائة سنة ..

وفى صباح الخميس ٢٥ يوليو سنة ١٥١٠ داهم بدرو نافارو طرابلس فى أسطول من ١٢٠ سفينة على متنها ١٥ ألف جندى اسبانى وثلاثة آلاف من المرتزقة الايطاليين والأوروبيين ..

وكان العرب يدافعون من وراء هذه الأسوار ومن خلف هذه القلعة ذاتها وما زالت قائمة بأبراجها .. ومن هنا كانت النبال وقذائف الحجارة والنار الفارسية والمياه الفائرة تتدفق فى محاولة لايقاف جحافل الغزاة .

وفى ذلك اليوم استشهد خمسة آلاف عربى وأسر عشرة آلاف آخرين بيعوا كرقيق فى أسواق صقلية بسعر ٣ الى ٥ دوكات للرأس ..

وتذكر الرواية أن يهود ايطاليا افتدوا أبناء جنسهم اليهود الذين أسروا فى المعركة ، أما ما تبقى من العرب فقد هربوا الى تاجوراء والى جبال الغريان .. وسقطت طرابلس بعد حرب أربع ساعات ..

ويروى لنا التاريخ أن بدرو نافارو الذى أبحر بعد ذلك بجزء من الأسطول ليغزو قرقنة ويحقق أحلام

اسبانيا التوسعية عاد بهزيمة منــكرة بعد أن فقد ٩٠ سفينة وتسعة آلاف قتيل ..

واضطرت الحامية الاسبانية أن ترحل عن طرابلس تحت وطأة المقاومة الليبية والنجدات المستمرة التى تأتى من الداخل ..

ونعرف من التاريخ أن طرابلس بلغت أوج عظمتهــا فى عهد « أحمد باشا ألقره مالل » وهو تركى مثــل محمد على باشا فى مصر استقل بحكم ليبيا .. وأنشأ دولة قره ماللية مستقلة عن الباب العالى العثمانى ..

وفى هذا العهد بلغت البحرية الليبية من القوة بدرجة جعلت كل الدول تدفع لها جزية سنوية لتأمين مرور سفنها فى البحر الأبيض ..

وحينما رفضت بحرية السويد سنة ١٧٦٩ دفع الجزية .. أسرت البحرية الليبية سبع سفن سويدية ولم تجد السويد سوى نابليون لتوسطه فى عقد صلح مع ليبيا واطلاق السفن الأسيرة . ويومها دفعت السويد ثمانين الف فرنك غرامة .

ونجد أن أمريكا تسعى بعد ذلك بقنصلها لعقد صلح

مشابه وتوسط حسن باشا والى الجزائر فى ذلك الوقت لتأمين مرور سفنها فى مقابل تعريفة سنوية .

ثم نجدها فى سنة ١٨٠٣ ترسل السفينة الحربية فيلادلفيا بقيادة بامبريدج لغرب طرابلس انتقاما من تهديدها المستمر لأساطيلها .. فتكون النتيجة ضرب فيلادلفيا واغراقها أمام هذه الشواطىء وأسر بامبريدج .

وفى سنة ١٨٠٤ نجد أسطولا أمريكيا من ١٤ قطعة يضرب شواطىء طرابلس بدون جدوى ..

وفى سنة ١٨٠٥ تعترف أمريكا بسيادة ليبيا على البحر وتوقع معاهدة تدفع فيها ٦٠ الف دولار لاسترداد أسيرها بامبريدج .

وهكذا عرف هذا الشاطىء ذرى المجد ومهاوى الذلة وتعاقبت عليه الأحداث .. حتى التتار لم ينج من أهوائهم .. فى سنة ٤٤٠ بعد الميلاد أغارت جيوش الوندال (وهى قبائل تترية) على طرابلس ونهبت وخربت وأحرقت وأحالت لبدة الى كومة من الحجارة والتراب وفر أهلها أمام الوندال الى النجوع والقرى البعيدة ..

واستمر حكم الوندال الى سنة ٤٤٣ الى أن أقبل بلزاريوس القـائد الرومانى فى أسـطول عظيم وهزم الوندال وشنق ملكهم قائيمار وأعاد ملك روما لروما ..

وكان شر ما عاني هذا الشاطيء فى أيام الاستعمار الايطالى .

وكانت أولى محاولات ايطاليا الاستعمارية فى أواخر العهد العثمانى الثانى سنة ١٩١١ وبدأت على استحياء ..

أنشأت جالية ايطالية قوية فى ليبيا ..

وفتحت مدارس ايطالية مجانية ..

ومستشفيات ومستوصفات ..

وأرسلت الجواسيس تحت ستار البعثات العلمية ..

وأهم من هذا كله أنشأت بانكو دى روما وكانت مهمته اقراض الملاك الليبيين الفقراء ثم نزع أملاكهم ..

وكانت أنشودة رجل الشارع فى ايطاليا فى هـذه الأيام « آه يا طرابلس الجميلة » .

ثم أسفرت ايطاليا عن نواياها فأعلنت الحرب فى ٢٩ سبتمبر سنة ١٩١١ .. وبدأت المذابح .. والحرب التى قدرت لها ايطاليـا أن تنتهى فى ١٥ يوما امتدت الى

عشرين سنة فلم تستسلم ليبيا الا سنة ١٣٩١ بعد كفاح دام قضى على نصف سكانها ..

وفى سنة ١٩٣٧ جاء موسولينى الى هذا الشاطىء فى موكب وهيلمان ومثلت الادارة مهزلة اهدائه سيف الاسلام وحامى حمى الدين .. فى الوقت الذى كان يطعن فيه الاسلام ويلزم خطباء المسجد المساكين بالدعاء على المنابر يوم الجمعة للملك عمانويل بدل الدعاء لخليفة المسلمين ويلقى المتمردون من الطائرات كان المجاهدون يشنقون فى الميادين العامة وتسبى النساء وتغتصب الأموال وتفرض اللغة الايطالية كلغة أولى فى المدارس وينفى الوطنيون بالألوف .. وعلى من يريد أن يضمن حرمة منزله وأملاكه أن يتجنس بالجنسية الايطالية ..

وعلى كل طفل ليبى أن ينشد فى المدرسة نشيد الصباح :

أننا أبناء روما
جندها نحن القدامى
قد سعينا الألف عاما
ثم عدنا للعهود

وآلاف من المهاجرين الايطاليين والمستوطنين يجلبهم الشاطىء كل يوم .. ولكل ايطالى أرض مجانية يملكها وفيلا يسكنها وحدائق غناء تثمر له الفاكهة والتين والزيتون ..

ثم يروى لنا التاريخ هزيمة الفاشية فى الحرب وجثة موسولينى التى بصق عليها مواطنوها ..

أيام ..

لقد شهدت أياما يا طرابلس ..

من كان يظن أن الصحافة بدأت فى طرابلس منذ ١٤٠ سنة بجريدة مخطوطة باليد كان يصدرها القناصل فى نسخ محدودة .

ثم أصدرت طرابلس بعد هذا « السالنامه » بالتركية والعربية وبالمطبعة الحجرية وصدر منها ١١ عددا .

وفى سنة ١٨٦٦ بدأت جريدة طرابلس غرب التى ظلت تصدر أكثر من ٤٠ عاما فى العهد العثمانى ، وكانت أول جريدة تتقاضى اشتراكاتها نقدا فقد كانت أكثر الصحف قبل ذلك تتقاضى اشتراكات عينية .. كذا شوال

من الشعير وكذا مكيال من القمح مقابل اشتراك سنوى ..

ومنذ سبعين سنة كانت فى طرابلس سبع صحف .. الترقى والعصر الجديد والكشاف والرقيب وأبو قشة وغيرها وغيرها فى ظروف طباعة بدائية وفى أسوأ ظروف الاستعمار الايطالى .. نقرأ هذا فى كتاب على مصطفى المصراتى « صحافة ليبيا » وعلى المصراتى هو عقاد ليبيا لا تستطيع أن تعرف أى شىء عن ليبيا دون أن تمر على كتبه ..

وفى ليبيا زهر جديد طالع كالنوار أمثال أحمد الفقيه وبشير الهاشمى ويوسف الغويرى وعلى صدقى يكتبون القصة والمقال والشعر .. وفى ليبيا أبطال بذلوا دماءهم فداء ومحبة أمثال سعدون وغوما وعمر المختار وسوف تكون لنا وقفة طويلة مع بعضهم ..

وليبيا ما زالت تتكلم العربية بالرغم من عشرات الغزاة الذين حاولوا فرض لغاتهم بالسيف والمدفع .. وهى مسألة تدعو للتأمل .. فالعرب أتوا غزاة هم الآخرون .. وأتوا بالسيف .. ومع ذلك تقبلتهم ليبيا مفتوحة

الذراعين وتشربت لغتهم وحضـــارتهم ثم تحولت الى مدافعة عن العروبة والعربية أكثر من العـــرب الأوائل الذين غزوها ..

وربما كان هذا هو الدليل القاطع أن ما فعله العرب بالعـــالم لم يكن نشرا للعقيدة بالسيف وانما كان نشرا لحضارة ..

وما انتشرت العقيدة بالقوة وانما بجاذبيتها الذاتيـــة وبما حملته للناس من صدق وسماحة ومحبة .. حقيقة بسيطة وساطعة مثل شمس هذا الشاطىء المشرق ..

وما زالت الأمواج تحت قدمى تتلاطم ..

وعاصف التاريخ لن يهدأ ..

والايام يتداولها الخالق بين الناس ..

لا الامبراطوريات تظل امبراطوريات ولا العبيد يظلون عبيدا ..

ترى ماذا تخبىء لك الأيام يا طرابلس ..

يا أعز من أحببت ذات شتاء فى عام ١٩٦٧ ..

فهرس

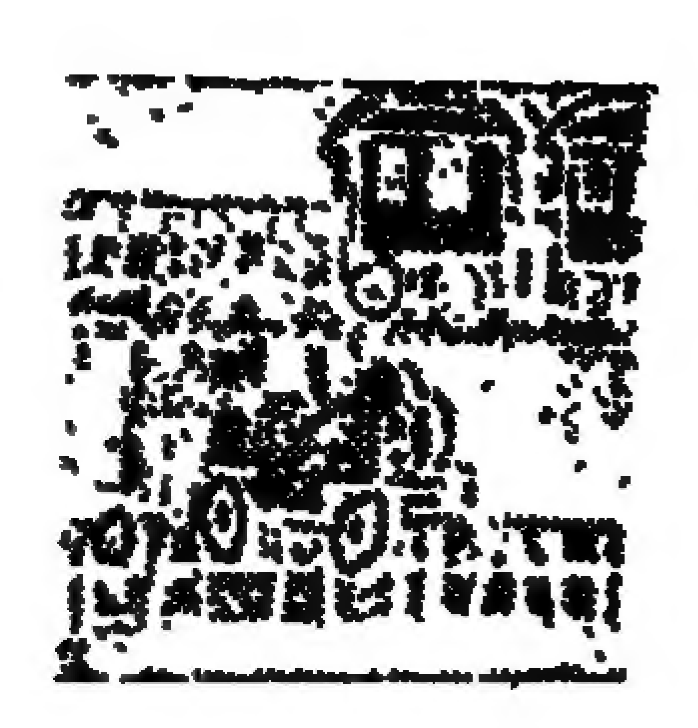
وكلاء اشتراكات مجلات دار الهلال

انجلترا :

THE ARABIC PUBLICATIONS
DISTRIBUTION BUREAU
7, Biskopsthrope Road
London S.E. 26
ENGLAND.

البرازيل :

M. Miguel Maccul Cury.
B. 25 de Maroc, 904
Caixa Postal 7406,
Sao Paulo. BRASIL.



هذا الكتاب

مصطفى محمود كاتب كبير ناجح له شعبية واسعة فى أوساط القراء العرب فى كل مكان ، وقد احتل مصطفى محمود مكانته الكبيرة كفنان وصحفى بعد ان قدم عددا كبيرا من الدراسات اللامعة والاعمال الفنية الناجحة ، وكل كتابات مصطفى محمود تجمع بين الفكر العميق ، والتعبير الجميل السهل فى نفس الوقت ، مما يجعل قراءة كتاباته ممتعة للعقل والوجدان حتى لو كان يكتب فى اعصى المشاكل واكثرها عمقا وتعقيدا ، ومن هنا اكتسب مصطفى محمود شعبيته ومكانته ككاتب ناجح مقروء ، على أن مصطفى محمود قد اتجه فى السنوات الاخيرة الى ميادين جديدة فى الانتاج الفنى والفكرى ، ومن بين هذه الميادين مايمكن ان نسميه « بادب الرحلات » ، فقد قام مصطفى محمود بعدد من الرحلات الشاقة ليكتشف الانسان والارض وليعرف كيف يفكر البشر عندما يعيشون فى ظروف صعبة قاسية مثل هؤلاء الذين يعيشون فى الصحارى وفى البيئات المنعزلة عن الحضارة . وفى هذا الكتاب الجديد « حكايات مسافر » نعيش مع مصطفى محمود فى مجموعة من رحلاته المختلفة .. فى بيئات متحضرة ، وبيئات بعيدة عن الحضارة ، حيث تمتلىء هذه الرحلات - على صفحات هذا الكتاب - باكتشافات وجدانية وفكرية لامعة . وكما ان مصطفى محمود يصحبنا معه فى عدد من رحلاته ، فنحن من خلال صفحات هذا الكتاب المختلفة نقوم برحلة اخرى مع عقل مصطفى محمود الخصب واسلوبه السهل الممتع الجميل وملاحظاته الدقيقة الذكية .. انها رحلة مع مصطفى محمود ، ورحلة اخرى رائعة فى داخل مصطفى محمود نعيش فيها مع كاتب فنان صاحب احساس مرهف دقيق بالناس والحياة ..

١٥ قرشاً